

محمد لطفي جمعة

مراجعة

رابح لطفي جمعة

١٩٩٨ / ١٩٩٩



مباحث في الفولكلور

محمد لطفي جمعة

مراجعة

رابح لطفي جمعة

١٩٩٨ - ١٥٦٩



٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت: ٣٩٢٦٤٠١

هذا الكتاب

—

رابح لطفى جمعه

كان الحديث عن المأثورات الشعبية يأتى عادة فى كتابات العرب الأقدمين ضمن كتب اللغة والأدب والتاريخ وبعض المصنفات الخاصة بالنبات والحيوان وتقويم البلدان وكتب الرحالة العرب ، فقد زخرت المراجع العربية القديمة وكتب التراث والموسوعات الأدبية بالعديد من عناصر ومكونات التراث الشعبى ، وتضمنت موضوعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسات هذا التراث ، كما انطوت على نماذج من الحياة العامة الشعبية والفنون والحرف والصناعات الشعبية والعادات والسلوك الشعبى والاحتفالات والأعياد الدينية والمناسبات الموسمية[1] ، إلا أنه لم يكن هناك التفات الى المأثورات الشعبية بالمفهوم الحديث لها بحيث تؤلف فى ذاتها موضوعاً متميزاً أو مادة تستحق التدوين والتسجيل أو أن تكون موضوع علم جديد قائم بذاته .

---

(١) حاول البعض فى العصر الحديث أن يتعرف على حجم المادة الفلكلورية التى تضمنتها هذه الكتب مثل كتاب حياة الحيوان للدميرى وكتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى وكتاب مروج الذهب للمسعودى وكتابات الجاحظ وآثاره الأدبية – إلا أن هذه المحاولات كانت مجرد تجربة استطلاعية لا استقصائية .

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر نهضت العلوم اللغوية والاجتماعية والداراسات التاريخية فى أوربا وكان العلماء وخاصة الألمان منهم بقيادة الأخوين يعقوب وويلهيم جريمه هم الرواد الذين التفتوا الى المأثورات الشعبية ، الى أن جاء العالم الإنجليزى ويليام جون تومز ودعا الى استخدام كلمة فلكلور للدلالة على الآثار الشعبية القديمة ، ثم تأكد هذا الاصطلاح عندما تأسست جمعية الفولكلور الإنجليزية سنة ١٨٧٧ .

أما فى العالم العربى فقد ظهرت فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن العشرين كتابات أشد التصاقاً بالفنون والمأثورات الشعبية مما كتبه العرب الأقدمون ، فوضع إبراهيم الأحدب اللبنانى (١٨٢٤- ١٨٩١) كتاباً فى الأمثال ، وألف الشيخ إبراهيم الحورانى السورى (١٨٤٤ - ١٩١٦) كتاباً فى الألغاز اسمه « جلاء الدياجى فى الألغاز والمعميات والأحاجى » ، ووضع إبراهيم زيدان (١٨٧٩ - ١٩٥٦) كتابا باسم « المستظرف من النوادر » وآخر بعنوان « نوادر الكرام فى الجاهلية والإسلام » ، كما ألف أحمد البرير اللبنانى (١٧٤٧ - ١٨١١) كتاب «دلائل الإعجاز فى المعمى والألغاز » ، وألف عيسى إسكندر المعلوف (١٨٦٩ - ١٩٥٦) كتاب « الأخلاق » جمع فيه عادات وتقاليد شعبية متوارثة ، كما ألف إلياس بن بقطر الأسيوطى (ت ١٨٢١) كتابا فى اللغة العامية ونشر بعض الشواهد والنماذج من الأشعار والحكايات الشعبية ، أما الشيخ محمد عياد

الطنطاوى (١٨١٠ - ١٨٦١) الذى هاجر من مصر الى روسيا وظل بها حتى توفى - فقد ألف كتاباً لايزال مخطوطاً ضمنه مجموعة أمثال باللهجة العامية المصرية ونماذج من الأغانى الشعبية يقول عنها المستشرق الروسى كراتشكوفسكى إنها مادة فولكلورية وممتعة حقاً .

وترجم رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) كتاباً عن الفرنسية نشره بعنوان « قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر » تناول فيه عادات الشعوب فى الملبس والزى واللعب والرقص والخرافات والجنائز ودفن الموتى .

أما الشيخ محمد شهاب الدين المصرى (ت . سنة ١٨٥٧) - فقد وضع كتابه « سفينة الملك ونفيسة الفلك » أو ماعرف بسفينة شهاب الدين ، ويعد هذا الكتاب من الكتابات العربية الرائدة فى المأثورات الشعبية ، فقد ضمنه المؤلف كثيراً من المأثورات الشعبية القولية كالمواويل والأغانى والأهازيج الشعبية والأزجال .

وأسهم أحمد تيمور (١٨٧١ - ١٩٣٠) بنصيب فى الكتابة فى المأثورات الشعبية نذكر منها بحثاً فى اللعب والتمثيل عند العرب والرتب والألقاب والمكاحل عند العرب . كما أن له معجماً فى الأمثال العامية وبحثاً فى خيال الظل عند العرب وآخر فى الموسيقى والغناء عند العرب .

أما أحمد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤) فقد كتب عن العادات

والتقاليد الشعبية .

ومما لاشك فيه أن هذه الكتابات والتصانيف تعتبر بحق كتابات رائدة فى المأثورات الشعبية ، وقد مهدت الطريق لجيل من الكتاب والمؤلفين المحدثين الذين تناولوا فى دراساتهم وأبحاثهم ومقالاتهم مختلف ألوان المأثورات الشعبية من قولية وفنون تشكيلية.

صحيح أن هؤلاء الرواد لم يكونوا متخصصين فى علم المأثورات الشعبية كما أن كتاباتهم لم تكن تهدف فى الأساس الى تأسيس هذا العلم وإنما جاءت فى سياق دراساتهم وأبحاثهم الأدبية واللغوية والاجتماعية ، إلا أنهم فطنوا فى مرحلة مبكرة إلي أهمية الكتابة عن المأثورات الشعبية والحفاظ على فنونها وألوانها القولية .

ويعد محمد لطفى جمعة (١٨٨٦ - ١٩٥٣) واحداً من هؤلاء الأدباء الرواد الذين أولوا اهتمامهم بالمأثورات الشعبية ودراستها دراسة علمية لما لها من أهمية بالغة فى حياة الشعوب وتحديد شخصيتها القومية وهويتها الثقافية .

كما دعا إلى جمع هذه المأثورات وتدوينها وتسجيلها وإنشاء متحف لها أو متحف للحضارة المصرية يضم الفنون والصناعات والحرف الشعبية والأزياء المختلفة وأنماط الأثاث والأدوات المنزلية التى تمثل الطبقات الاجتماعية فى مختلف العصور منذ عصر ماقبل

التاريخ ثم العصر الفرعونى فالعصر الإغريقى والرومانى ثم الحضارة القبطية فالعصر العربى الإسلامى ثم العصر العثمانى ثم العصر الحديث [(١)] وذلك على غرار متاحف الفولكلور في أوروبا والتى تمثل حياة وثقافة الأمة عن طريق تصوير أو وصف الفنون والحرف والصنائع الشعبية وأطوارها التاريخية خلال العصور المتعاقبة .

والحقيقة أننا لم نكن نجد اهتماماً يذكر من جانبنا بهذا التراث الشعبى الى أن أنشىء كرسى خاص فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة باسم كرسى الأدب الشعبى ، فبدأت الأنظار فى مصر ثم فى سائر الأقطار العربية تتجه نحو دراسة هذا اللون الجديد من ألوان الثقافة الإنسانية ، ثم صدرت فى بعض البلدان العربية مجلات ودوريات متخصصة فى المأثورات الشعبية

---

(١) من محاضرة بعنوان «متحف الحضارة» ألقاها لطفى جمعة فى الإذاعة المصرية فى مارس ١٩٤٩.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جريدة الأخبار القاهرية نشرت بتاريخ ١٨ يونية سنة ١٩٩٨ أن اللجنة التنفيذية لمشروع متحف الحضارة عقدت اجتماعاً لمناقشة مشروع إقامة هذا المتحف بمنطقة عين الصيرة ليضم حضارات مصر ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث .

وهكذا بعد مرور حوالى خمسين عاماً أوشك ما نادى به لطفى جمعه سنة ١٩٤٩ فى محاضرته عن متحف الحضارة أن يتحقق .

نذكر منها مجلة المأثورات الشعبية التى تصدر عن مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية فى الدوحة بدولة قطر ومجلة التراث الشعبى بالعراق ومجلة الفنون الشعبية فى مصر .

فضلا عن المهرجانات الأدبية والثقافية والشعبية التى تقام فى بعض البلدان العربية وتعرض فيها ألوان مختلفة من المأثورات والممارسات الشعبية كمهرجان المربد بالعراق ومهرجان الجاندرية بالمملكة العربية السعودية ومهرجان جرش بالأردن .

كما أنشئت مراكز للتراث الشعبى فى بعض البلدان العربية إلى غير ذلك من مظاهر الاهتمام بالمأثورات الشعبية .

يقول لطفى جمعة فى مقال له نشر بمجلة الرابطة العربية عن أهمية المأثورات الشعبية (١)يجب أن نلفت أنظار الأدباء والعلماء إلى أهمية البحوث الأنثربولوجية والأثنولوجية واللغوية التى لها علاقة بالحياة المصرية وخصوصاً البحوث الفولكلورية ، فإنه لا شخصية لأمة لا تسجل عاداتها ومعتقداتها الموروثة ، ونحن نرى ضرورة تأسيس معهد للبحوث من قبيل المعاهد الأوروبية التى تدرس المواد الفولكلورية دراسة وافية وتفسر وتعلّل وتوضع موضع النقد والمناقشة .

---

(١) مقال عن كتاب « صعيد مصر » تأليف الآنسة وينفرد بلاكمان نشر بمجلة الرابطة العربية بالعدد ١٠٥ فى ١٩٣٨/٦/٢٢.

وبعد ، فهذا الكتاب كان مقالات متفرقة كتبها لطفى جمعه ونشرت فى بعض الصحف والمجلات على فترات متفاوتة من الزمان، إلا أنه يجمع بينها أنها تدور جميعها حول بعض المباحث والدراسات فى المأثورات الشعبية ، وسوف يطلع القارىء الكريم فى تقديم الأستاذ أحمد حسين الطماوى لهذا الكتاب على عرض واف لمحتوياته .

على أننى أود أن أشير هنا إلى أننى أشرت فى الهامش إلى تاريخ نشر كل مقالة واسم الصحيفة أو المجلة التى نشرت فيها ، كما أضفت إلى هذه المقالات بعض الدراسات المخطوطة التى كتبها لطفى جمعه ولم تقدر لها أن تنشر وأهمها دراسة عن « الخرافة » وأخرى عن « الملاحن » أو اللغة السرية لبعض طوائف الشعب فى مصر من أصحاب الحرف وأرباب الصنائع والخارجين على القانون وذوى الانحرافات النفسية .

وهذه الدراسة كانت محاضرة ألقاها المؤلف سنة ١٩١٨ بنادى الشبان المسيحيين بالقاهرة وألحق بها قاموساً فى هذه الملاحن .

كما أوردت فى هوامش بعض المباحث بعض التعليقات والإيضاحات مما له صلة بما كتبه لطفى جمعه فى هذه المقالات ورجعت فيها إلى بعض المؤلفات المعنية بالدراسات والأبحاث المتصلة بالمأثورات الشعبية والتى ظهرت بعد وفاة المؤلف سنة

١٩٥٣، وبعد أن استفاضت الدراسات والأبحاث فى مصر والعالم العربى حول هذه المأثورات وتناولتها أقلام كتاب متخصصين فيها ٠

والله من وراء القصد وهو الهادى الى سواء السبيل ٠

القاهرة فى : ١٩٩٨/٩/٢٨

رابح لطفى جمعه

٢١ ش امين الخولى

مصر الجديدة - القاهرة

تقديـــم

للأستاذ

أحمد حسين الطماوي (*)

يعنى علم الفلكلور بتسجيل تاريخه ودرس المأثورات الشعبية دراسة نظرية ، وذكر أعلامه والمهتمين به في الشرق والغرب ، وتناول الحرف الشعبية وفنونها ، وما يتعلق منها بالفلكلور وجمع التراث الشعبي وتدوينه ، وعرض بعضه مع ذكر مدلوله ، والمعتقدات الشعبية الخرافية ، وممارسة الناس لهذه المبتدعات ، وذكر المصطلحات الخاصة بهذا العلم ، وضروب التعبير الشعبي وغير ذلك .

فإذا كان هذا العلم القديم الجديد يعنى بكل هذا ، فإن لطفي جمعه له إسهامات مهمة في كل ذلك منذ أكثر من سبعين سنة .

كان أول ما تغذى عليه عقل لطفي جمعه في المدرسة الابتدائية قبل عام ١٩٠٠ هي كتب محمود عمر الباجوري ، فقد كان هذا الأستاذ يدرس له اللغة العربية ، وعن طريقه قرأ مؤلفاته في الأدب

(*) هذا التقديم منقول عن الفصل المعقود في كتابات لطفي جمعه في ضوء المأثورات الشعبية ، من كتاب الأستاذ أحمد حسين الطماوي المعنون « محمد لطفي جمعه في درب الأدب والحياة » ، ص ٢٣٩ – ٢٥٩ ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

الشعبى مثل الأمثال المصرية العامية، والأغانى ، والمواويل والنوادر، والقصص الشعبى . وعندما سافر لطفى جمعه إلى أوروبا التفت نظره إلى علم الفلكلور وظهرت له أهميته فى تفهم أخلاق الشعوب ، وكان صديقه محمد مجدى القاضى الكبير فى المحاكم المصرية (ابن صالح مجدى) يحدثه كثيراً عن المأثورات الشعبية التى كانت تسمى «علم الركة ».

على أن لطفى جمعه لم يقتنع بفائدة هذا العلم إلا عندما عمل بالمحاماة ، فقد اهتدى إلى لغة « السيم » التى يتداولها المجرمون فيما بينهم . وكانت كل هذه التنبيهات كافية إلى إقباله على هذا اللون من الفكر الإنسانى فى سلسلة مقالات نشرت فى عدة دوريات ونستطيع من خلال هذه المقالات أن نكتب تاريخاً للفلكلور قبل أن يتفرع ويتوسع فيه باحثو هذه الأيام .

يعتبر لطفى جمعه أن ابن دريد أول من سجل الأدب الشعبى بمقاماته التى عثر منها خليل مردم بك على أحد عشر مقامة فى كتاب الأمالى للقالى ، وأورد جمعه عناوينها للتدليل على أنها تدور فى مدار الأدب الشعبى .

ويرى على وجه العموم أن مقامات ابن دريد أو قصصه تتناول « أخبار النساء والكهانة ، والإخبار عن الغيب والأحلام والرؤى وشخصيات الجان لأن علم الفلكلور يدور على هذه المسائل ، ولا ننسى أن علم الفلكلور يطلق عليه الشوام اسم « دفتر النسوان »

وفى مصر يسمونه « علم الركة » .

وهو يريد من هذا إظهار أن الفلكلور عرفه العرب ودونوه ابتداء من القرن الثانى أو الثالث الهجريين ، وإن كان يرى أن فى عصر الجاهلية فلكلوراً [1] ، كذلك يشير إلى كتاب الأمثال للميدانى ، ويمر مروراً سريعاً على مافى « ألف ليلة » من قصص شعبى.

ثم يترك عدة قرون ، ويقف عند كتاب « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » للشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد الشربينى فى أوائل القرن التاسع عشر ، ويشتمل على شعر ونثر ونوادر وأمثال تصف أهل القرى وفنونهم ونظم الحكم التركى ، ويقول عن صاحب هز القحوف إنه « فهم روح عصره ، وحاول الإصلاح عن طريق التهكم .. ووصف حياة الفلاحين فى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر بعد أن أتم دراسته فى الأزهر الشريف ، فوضع صورة جميلة صادقة عن حياة بلاده فيها بعض التجنى والمبالغة . ولكنه كان يقصد إلى التهكم للموعظة لا للإهانة ».

وقد سبق لطفى جمعه بحديثه عن كتاب هز القحوف ، وأنه لون من ألوان الأدب الشعبى ، ما كتبه طاهر أبو فاشا فى كتابه «هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » الذى ظهر سنة ١٩٨٧.

---

(١) المقتطف ابريل ١٩٤٣.

ثم تناول ابن عروس الذى عاش حوالى سنة ١٨٧٠ ، وكان لصاً لفترة طويلة ثم تاب فى أخريات حياته ووزع ثروته ، ووضع أزجالا شعبية تضمنت بعض الملاحن أو لغة السيم وسنقف عندها ، وأورد نموذجاً من أزجاله .

ويتطرق إلى الشيخ حسن الآلاتى الضرير صاحب كتاب «مضحك العبوس» (ثلاثة أجزاء) الذى ابتدع فن المفارقات ، ويقول عنه إنه أسس معهداً أطلق عليه « المضحك خانة العلية » ، وكان من رواده أمثال عبد الله باشا فكرى ، وأحمد باشا طلعت الكبير وأحمد باشا راشد ... كانوا يجلسون ويتطارحون الشعر والزجل ، ويروون النكات الظريفة ، ورئيس هذه الجلسة هو الشيخ الآلاتى.

وقد أشار الأستاذ أحمد أمين فيما بعد إلى هذا الكتاب فى كتابه «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » المطبوع عام ١٩٥٣.

ويعرج لطفى جمعه على كتاب القاضى ويلمور الذى صدر عام ١٩٠٣ وأغرى فيه باتخاذ العامية لغة للكتابة ووصف اللغة العربية المحكية بأنها أغنى اللغات فى البدائع اللفظية [١] وتناول النكتة والقفشة ، وخيال الظل ، وقرة جوز ، وفى هذا المجال رأى أن الأدب العامى يظهر الفروق بين الأمزجة المصرية والعربية والتركية [٢] كما

---

(١) البلاغ ، ١٩٢٩/٩/٣٠.

(٢) المقتطف المصدر السابق .

تطرق إلى كتاب « أمثال العوام فى مصر والشام » لنعوم شقير ، وكتب محمود عمر الباجورى التى أثبت فى أحدها أن قصة لوهنجرين (أوبرا ألمانية وضعها ولحنها فاجنر) هى نفسها قصة عويد السدب التى تروى للأطفال فى قرى مصر ٠

ويقف عند فن الزجل ويشير إلى رجاله مثل عزت صقر ، وخليل نظير ، وحسين مظلوم ومصطفى الصباحى ، والأخيران وضعا مجموعة أزجال فى كتاب طبع عام ١٩٣٦ ، كما وقف عند الأزجال التى تضمنت أمثالا شعبية ٠

فها هو الرجل يضع تاريخاً موجزا للفلكلور منذ عشرينيات القرن العشرين ، وإن كانت هناك محاولات ولفت الأنظار لحسن توفيق العدل وحفنى ناصف وأحمد تيمور الذى وضع معجم الأمثال الشعبية ، إلا أن لطفى جمعه نبه بكتاباته الكثيرة إلى أهمية دراسة هذه المأثورات ، وتناولها بالدرس والفحص ، لفوائدها الكثيرة قبل عبد الحميد يونس رائد هذا الاتجاه بزمان غير قصير ٠

وأقدم مقال وقفنا عليه عند جمعه كان دراسة مقارنة عن النكتة عند الإنجليز والفرنسيين والعرب والمصريين عام ١٩٢٩ ، ومقال عن اختراع الكلمات المتقاطعة عند العرب عام ١٩٣٠ ، وآخر عن «السحر والتمائم والحجب والرقى والعزائم » عام ١٩٣١، وألقى محاضرة عن الملاحن عام ١٩١٨ (١).

(١) انظر ص ١٠٩ - ١٣٠ من هذا الكتاب ٠

كذلك أرخ لطفى جمعه للأدب الشعبى فى العقد الثانى من القرن العشرين وسجل نماذج كثيرة مهمة ومجهولة ، وأرخ لأدب المخدرات و « الكيف » قديما وحديثا فى مقالين كبيرين نشرهما فى البلاغ (انظر تاريخهما فى الببليوجرافيا) (١) وسجل حكايتين رويتا له هما : « وصف الحمامى » و « عشماوى يشترى مواشيه » بصحيفة البلاغ (٢) .

كما يسجل فى البلاغ نماذج طريفة من النثر العامى ، منها «وصف شيخ معمم كان يعيش فى الحسين » .

ومثل هذه النماذج تصلح لإقامة دراسة عليها تبين مضامين النثر الشعبى ، والأوصاف الساخرة التى يتهكم بها الرجل العامى على من لا يعجبه من الناس . وتكشف عن الحيل الشعبية المستخدمة فى التضليل والاحتيال وتظهر ذكاء الرجل العامى البسيط فى معرفة حقيقة الأشخاص الذين يتخفّون وراء أزياء دينية، كما أن هذه النماذج توضح أن لجمعه نثرا فنيا يستخدم فيه المحسنات وتطول نفسه فيه مع المحافظة على هذه المحسنات ويطوع فيه الألفاظ الدارجة لأغراضه الفنية وخدمة لموضوعاته الشعبية .

---

(١) مقالان بعنوان « المخدرات فى الأدب القديم والحديث » نشرا بجريدة البلاغ فى ١٩٣١/١١/٤ ، ١٩٣٢/٣/٢٧ .

(٢) مقال بعنوان « الأدب الشعبى ، نماذج من النثر العربى » ، البلاغ فى ١٩٣١/١٢/٢٤.

وفى مقال بعنوان « النكتة عند الإنجليز والفرنسيين - النكتة المصرية فى اللغة المحكية واللغة العربية الفصحى » يفرق لطفى جمعه بين أمزجة الشعوب ، وطرائق التنكيت والمزاح مع المقارنة ، كما يفرق بين الكاتب المضحك Comic الذى يسر نفس القارىء بما يضحك ، والكاتب التنكيتى أو المنكت الذى يقرص بالكلم ، ويرمى إلى ضروب الإصلاح بنكاته التى يستلذها العقل الذكى .

« أماالفرنسيون فالنكته عندهم تقابل العقل أوالذكاء، ويفرقون بين القادر على التنكيت والمنكت الحاذق ، كما لديهم النكتة التى تعتمد على اللعب بالألفاظ مثل الجناس عندنا ، وفى مؤلفات نوابغهم النكتة اللاذعة .. إلى آخره ».

ويعرض للعرب فيرى أنهم لم يعرفوا النكتة قبل تمدنهم ، لأن التلذذ بالنكتة يتطلب المدنية بمظاهرها المختلفة من رفاهية وترف وخلاعة وتخنث . وذهب الى أنهم عرفوا النكتة مثل ما نقله عن كتاب «التاج » للجاحظ .

ثم يتناول النكتة المصرية، ويورد عدداً من أنواعها مثل القافية، ويحشر المتحاورون فيها بين الخطاب والجواب « اشمعنى » وهو التنكيت الشعبى ، والنوادر التى تروى على ألسنة أشخاص معينين مثل جحا وأبى نواس ، أو ما ينسب الى الطوائف مثل المغاربة والشوام والصعايدة ، والقفشة التى تظهر فى الحرف ، ثم عرض من النكت الوطنية ما لايوجد فى لغة أخرى .

ثم وضح ميل المصريين للنكتة لأن مجالسهم طويلة مملة فيتسلون بتقليب الألفاظ والمعانى على سائر الوجوه ، وأشار الى الصحف الفكاهية مثل الأستاذ والأرغول ، وحمارة منيتى ، واللجام، والبردعة .. وتناول أرباب النكتة ، وضرب مثلا بالبابلى ، وسرد عدداً من نكاته المضحكة ، ولا يفوتنا أنه مثل لكل الأنواع السابقة عند الإنجليز والفرنسيين والعرب والمصريين بنكات مستملحة .

فهذه دراسة مقارنة للنكتة من عدة وجوه ، النكتة الشعبية ، والنكتة المرتجلة من وحى الموقف فى اللحظة المناسبة ، والمزاج الأدبى ، والتلاعب بالألفاظ ، والنكتة باللغة الفصحى .. إلى آخره. وهى أشكال من التعبير الجماعى والفردى ، والذين درسوا النكتة مثل الدكتورة نبيلة إبراهيم [(١)] ، لم يشيروا الى دراسات مصرية سابقة فى النكتة ، وغاية ما يستشهدون به نكات وردت فى كتب الأدب أو سمعوها ، ويعمدون إلى تحليلها ، ووصفها فى سياق كلامهم لتعضيد رأى ، أو تعزيز مقولة : لذلك فإن هذه الدراسة مهمة بالنسبة لهذا اللون من المأثورات الشعبية وبخاصة فى حينها ، ولعلها أول دراسة مقارنة للنكتة تناولت عدة أجناس ، وفيما بعد عقد العقاد فصلا فى كتابه « جحا الضاحك المضحك » [(٢)] عـــن الأمم

---

(١) أشكال التعبير الشعبى ، نهضة مصر ، بدون تاريخ وكان مقرراً على طلبة آداب القاهرة فى الستينات .

(٢) صدر عام ١٩٥٦ – سلسلة الهلال .

الفكاهية وقارن فيه بين فكاهاتها وسلائقها ، كما تحدث الدكتور زكريا إبراهيم فى كتابه « سيكولوجية الفكاهة والضحك » عن «روح الفكاهة عند الفرد والجماعة » ويعنينا منه مانسبه الى موربى الذى قال عام ١٩٣٤ إن « عيوب الشعوب الأخرى ونقائص غيرنا من الأجناس هى دائماً أكثر استثارة لضحكنا » (١) وهذا يعنى أن موربى يتفق عام ١٩٣٤ مع قول لطفى جمعه عام ١٩٢٩ فى أن النوادر التى تروى أو تنسب إلى المغاربة أو الشوام أو الصعايدة تبعث على الضحك (٢).

وتسجيل النكت أو الملح وجمعها شىء عرفته المجلات الأدبية التى تستخدم الفصحى أو العامية ، ولكنه كان يرد فى إطار تفكيه القارىء وجذبه الى قراءة المجلات ومتابعتها ، إضافة إلى تنويع مواد المجلة ، أما فى مقالة جمعه فإنها تأتى فى إطار دراسة المأثورات الشعبية وتدوينها ، مع بيان أنواعها ودلالتها على النزعات الفردية أو الوطنية أو الشعبية أى أن نكات المجلات تمثل الفكاهة الخالصة ، أما عند جمعه فإنها جزء من التراث الشعبى الذى يجمع بغية البحث والدرس .

وعندما شاعت لعبة الكلمات المتقاطعة فى أوروبا وانتقلت إلى

---

(١) سيكولوجية الفكاهة والضحك – زكريا إبراهيم مطبعة مصر ص ٢١٤.

(٢) البلاغ ١٩٢٩/٩/٣ .

مصر ، كتب لطفى جمعه مقالة أظهر فيها أن العـــرب سبقــوا الأوربيين بنحو ستة قرون فى استخدام الكلمات المتقاطعة عندما وضع إسماعيل بن أبى بكر الشاورى المقرى اليمنى (٧٥٥ هـ - ٨٣٧ هـ) كتابه « عنوان الشرف الوافى ، فى علوم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافى » الذى طبع عام ١٢٩٤ هـ فى حلب الشهباء ، وصححه مصطفى الحلبى ، وساعد فى تصحيحه الشيخ محمد الزرقا .

وأورد لطفى جمعه نموذجا منه على شكل جدول مستطيل يشتمل على خطوط طوليةتفصل بين حروف وكلمات، وشرح الطريقة التى سار عليها المؤلف ، وبين أن المقرى لم يستخدم هذه الوسيلة فى لهو وتسلية بل استغلها فى تدوين العلوم ، ويقرر أنه بالرغم من استخدام هذه الطريقة جاءت المتون واضحة ، فلم تحكمه المفردات ، ولم يتكلف أو يعقد ، بل اقتصد فى الألفاظ ، ووقت النسخ ، وكمية الورق ، فى زمن لم تعرف فيه الطباعة [(١)].

وهذه المقالة درس آخر فى فضل العرب على أوروبا التى بعثت برسلها ومستشرقيها إلى الشرق ونقلوا المخطوطات وأفادوا منها ، وربما كانت هذه الدراسة هى الأولى من نوعها عندنا فى لعبة

---

(١) مقال بعنوان « اختراع الكلمات المتقاطعة سبق به العرب أهل أوربا» ، البلاغ فى ١٩٣٠/٢/٢٤.

الكلمات المتقاطعة ، وإذا كان كتاب المقرى عملا علمياً ، فإن اقترانه بلعبة الكلمات المتقاطعة التى صارت لعبة السواد الأعظم من المثقفين أو الملمين بالقراءة والكتابة يجعلنا نتناولها فى هذا المجال للتنبيه .

وفى دراسة أخرى تناول « السحر والتمائم والحجب والرقى والعزائم » فى معتقدات الشعوب الشرقية والأمم السامية وغيرها ، منذ الفراعين الى العصر الحاضر ، وعرض للخمسة وخميسة وقرن الخرتيت ، وعرق السودان ، وما يوضع فى العربات الفارهة من صورة نسر أو قزم ضاحك أو عروس أو قرد لوقاية السيارة وأصحابها من الحسد ، وما تحمله المرأة من حجب لجلب المحبة . والتغلب على الأعداء ، أو بغرض الحمل ، والحجب التى يلبسها الرجال لتقيهم من الإصابة بالسلاح .. الى آخره ، ثم أخذ يستعرض تاريخ السحر عند الفراعنة من خلال كاغد اكتشفه جوليتشيف أستاذ التاريخ المصرى القديم فى الجامعة المصرية ، وبابيروس فى المتحف البريطانى ، وأظهر أن الناس كانوا يعتقدون فى حاجة الآلهة الى حجب ، الى أن صارت الآلهة سحرة ، وربط بين السحر عند الفراعنة ومعجزة سيدنا موسى فى السحر ، ثم انتقل الى اليهود والأحباش وكهنة سومير وبابل واليونان والعرب ليبين أدوارهم فى السحر ، وتتبع خطى انتقال السحر الشرقى الى أوروبا فى القرون الوسطى ، وأشار إلى قصة هنرى بوردو «البحيرة السوداء » وهى قصة رجل قتل زوجة خصمه بفعل السحر عن بعد ،

ووقف على ما أفاده علماء الفلك والطبيعة والرياضيات من علوم السومريين والبابليين والآشوريين ، ثم تناول التنبؤ وعلم الكف والمندل والبخت وفحص فنجان القهوة وقياس الأثر وتفسير الأحلام.

وأهم النتائج التى توصل إليها : أنه مهما كبر شأن العلم فلن يشفى الإنسان من معتقدات السحر والتمائم والحجب والعزائم وأن التنجيم ليس من العلوم الحقة ولكنه يصدق غالبا فى معرفة أخلاق الناس بواسطة الطوالع التى تسمى هوروسكوب [١] .

وكلام جمعه صحيح فى اعتقاد الناس فى التنجيم مهما تأصلت الحضارة فيهم وتفوق العلم ، ففى أمريكا قمة العلم والحضارة كانت المنجمة الأمريكية جوان كويجلى تقوم بأعمال التنجيم خلال الحملة الانتخابية للرئيس ريجان . وبعد فوزه استمر التنجيم فى البيت الأبيض ، وصارت المنجمة مستشارة لنانسى ريجان [٢] وكشف المؤرخ البريطانى مارتين جلبرت الأستاذ بجامعة أكسفورد النقاب عن الزعيم البريطانى ونستون تشرشل الذى استخدم أحد المنجمين عام ١٩٤١ فى إقناع أمريكا بدخول الحرب العالمية الثانية [٣] ، وفى فرنسا اعتزلت المغنية الفرنسية فرانسوا هاردى الغناء لتكتب فى التنجيم [٤] وليست هناك أدلة على صحة

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، دمشق ، عدد يولية ، أغسطس ١٩٣١.
(٢) الأهرام ١٩٨٨/٥/١٠ .
(٣) أخبار اليوم ١٩٨٨/٥/١٤ .
(٤) الأهرام ١٩٨٨/٥/١٩.

ماذهب اليه لطفى جمعه أكثر من هذا ، والله أعلم بحقائق مثل هذه الأمور .

وهذه الدراسة المقارنة تكشف عن معتقدات الشعوب السامية والأوروبية ، وممارسات الأفراد والجماعات لهذه المعتقدات ، وتظهر أن ما نراه الآن هو امتداد للموروثات القديمة .

ويبين لطفى جمعه العلاقة بين التراث الشعبى والحياة الدينية والروحية ، ويربط بين الجانب الأسطورى والممارسات الشعبية ، ويوضح كيف انتقلت جوانب من المعتقدات الشعبية من بيئة لغيرها، ومن حقبة لأخرى حتى وصلت الى مجتمعاتنا وأزماننا ، وهذا من صميم عمل دارسى الفلكلور ، وفى هذه الدراسة استند الى عدة مصادر منها صحيح البخارى وشمس المعارف والعلوم الخفية لبدج، وأصول الأوهام الشعبية لنولصون ، والبابيروس الهيروغليفى ، والكاغد الذى نشره جولينشيف وغير ذلك مما يجعل دراسته علمية.

ويعتبر لطفى جمعه من أوائل الذين تناولوا بالدراسة والتأريخ لغة «السيم» أو الملاحن ، وهى لغة خفية رمزية يتداولها الحرفيون وألفاظها معروفة بينهم ، فقد ألقى فيها محاضرة عام ١٩١٨ بنادى الشبان المسيحيين بالقاهرة ، وهذه المحاضرة مازالت مخطوطة[1] ،

---

(١) ألحقنا هذه المحاضرة كمبحث من مباحث هذا الكتاب (ر.ل.ج).

ثم عاد الى الحديث عن الملاحن فى مقالة بعنوان « أخلاق المجرمين – صفحات مجهولة فى سجل النفس البشرية » [1] ، ثم فى مقالة أخرى بعنوان « أدب الشعب والثقافة العامة – فولكلور » نشرتها مجلة « اللطائف المصورة » كما تحدث عنها فى مقالة « الاجتماع وعلم الشعوب وآدابها وحكمتها فى الفلكلور العالمى » [2] وغير ذلك.

وفى هذه المقالات يقارن بين لغات الملاحن فى مصر وإنجلترا وفرنسا ، ويذكر أسماءها ، فهى عند العرب «لحن » وعند الفرنسيين Argot وعند الإنجليز "Slang" وعند الطليان "IL gergo " وعند المصريين « سيم » ، ويرد السيم الي قوله تعالى « سيماهم فى وجوههم » أي علامتهم أو إشارتهم ، والألفاظ التى يتكون منها «السيم » هى إشارات أو علامات أو رمز للحقيقة المقصودة ، ثم يأخذ فى التأريخ لها .

ويشير الى كتاب البخلاء للجاحظ الذى تضمن فى مقدمته إشارة إلى «كتاب السراقين»الذى أورد فيه الجاحظ أسراراللصوص والمجرمين ولغاتهم التى يتخاطبون بها ، وهو كتاب مفقود، وتناول ما قاله المناوي فى أحاجى اللغة ومعمياتها وكيف يخفى الإنسان لفظاً بذكر لفظ غيره فإذا أردت أن تخفى الخمر قلت بنت الحان ، ثم

---

(١) البلاغ الأسبوعى ١٩٢٩/٥/٢٢ .

(٢) المقتطف مارس ١٩٤٣ .

ينتقل إلى الغرب فيقف عند نيتشفورو الذى وضع قاعدتين لهذه اللغة عام ١٨٩٧ ، ويشير الى أسماء قواميس إيطالية وإنجليزية وفرنسية تكشف عن ألفاظ الطوائف الرمزية .

كما يبين أنه وجد فى فرنسا والنمسا إشارات لطوائف من هذا القبيل ، وأظهر أن الجمعيات السرية الجنائية تتفاهم بالعلامات وهذا يسمى اللحن المكتوب (١) ، وفى مقاله « أخلاق المجرمين » يذكر أسماء أربع كتب لمؤلفين أجانب ألموا بلغات المجرمين السرية من أمثال رايس بلوزان ، وهانس جروس بالنمسا ونيتشفورو فى صقلية .. وفى مقالته «الاجتماع وعلم الشعوب » يورد كلاماً لماريوجول يذكر فيه الألفاظ التى يتداولها المجرمون عندما يحدق بهم الخطر وأناشيدهم التى ينشدونها بعد الفوز والنجاة . وغير ذلك كثير مما يوقع فى نفوسنا أن البحث فى هذا المجال واسع ويحتاج إلى أناة وتدقيق ، وأن علم الفلكلور هو القادر على كشف أسرار هذه اللغة.

وفرق لطفى جمعه بين اللغة الخاصة واللغة السرية ، فالأولى ليست غايتها الإخفاء ، وإنما هدفها التفاهم السريع ، فهى لغة فنية كذكر الخابور والكوع عند النجارين ، أما الثانية فقد وجدت بالقصد سرية ومنشأهاروح العداء من الطبقات وروح الخوف الذى يوحيها ،

---

(١) بحث فى اللغات الرمزية مخطوط .

وغايتها حماية فريق أو جماعة ضد فريق آخر أو جماعة غيرها تستخدمها الطوائف لإخفاء سرها عن غير أعضائها .

ويتتبع جمعه مسار عدة ألفاظ وكيف انتقلت من طور الى طور وعلة ذلك ، فمثلا النعل عند اللصوص هو الثور ، فانتقلوا من النعل الى مصدره الجلد ، ومن الجلد إلى مصدره الثور ، ويسمون الثياب نعجة منتقلين من الثوب الى الصوف ومن الصوف الى النعجة . وفسر طائفة أخرى من الألفاظ بكشف الزيادات فيها ، فطائفة البنات تدخل بعض الحروف فى المقاطع مثل «رج» فيقال أكترجب بدل أكتب ، وقار جبلنى لقابلنى وهكذا .

وقد تمهر لطفى جمعه فى هذا المجال حتى استطاع أن يضع معجماً رتبه ترتيباً هجائياً تناول فيه الملاحن عند مختلف الطوائف ، وهذا المعجم مخطوط وجاء على غلافه : « هذا قاموس ملاحن السوقية أو لغة الأرغوت المعروفة عند الفرنسيين بلسان الـ Argot أو السيم بين الطوائف ليكون ملحقاً لكتابى فلسفة اللغات – وضعه محمد لطفى جمعه بالقاهرة فى ١٩١٦» [١] . كما ألحق بمحاضرته السالفة الإشارة إليها مجموعة من سيم الطوائف .

---

(١) ألحقنا هذا القاموس بمحاضرة لطفى جمعه عن الملاحن أو اللغة السرية ، ص ١٣١ ومابعدها من هذا الكتاب .

والخلاصة أن لطفى جمعه :

- دون تاريخا محدوداً للفلكلور .

- سجل بعض النكات فى إطار دراسة المأثورات الشعبية ، وقارن بين نكات الشعوب الفكاهية .

- رد بعض القصص والمسرحيات مثل الإلياذة وماكبث وفاوست إلى أصلها الخرافى ، وبين أنها تناولت معتقدات شعبية ، وعرض للحياة الشعبية من خلال هذه المعتقدات .

- عرف كلمة الفلكلور « علم الشعوب» بأنه مجموعة الأساطير والأمثال والشعر والنوادر والحكم المحلية والمحفوظة والمروية بين الأفراد والجماعات [١] أى التراث الشفوى والتراث الروحى كما عبر عنه الأستاذ فوزى العنتيل فى كتابه ماهو الفلكلور الصادر عام ١٩٧٧ .

- بين أهمية هذا العلم فى دراسة الأدب العلمى أو علم الاجتماع ، وأخلاق الشعوب ، وأخلاق المجرمين ، وعادات المتشردين وضحايا المخدرات وطبائع العمال والفلاحين .

- ذكر مراجع كثيرة يمكن أن يفيد منها دارس المأثورات الشعبية ، ونوه برواد علم الفلكلور فى الغرب من أمثال ماكس مولر وإنريكو

---

(١) المقتطف إبريل سنة ١٩٤٣ .

فيرى ، وجيمس فريزر صاحب كتاب « غصن الذهب » ورواده فى الشرق مثل الشيخ محمد شهاب الدين صاحب « سفينة شهاب » والشيخ حسن الآلاتى ومحمود عمر وغيرهما .

– استند إلى المنهج المقارن فى دراساته ليوضح الفروق والمشابهات بين المأثورات الشعبية فى بعض الشعوب ، والمقارنة عنده محور رئيسى من محاور دراساته فى مختلف العلوم والآداب.

– وضع معجمين أحدهما فى الأمثال العامية ، والآخر فى ملاحن الطوائف واللغات السوقية .

أحمد حسين الطماوى

الاجتماع
وعلم الشعوب وآدابها وحكمتها
فى « الفولكلور » العالمي(*)

كلمة فولكلور Folklore (1) معناها علم الشعب وهو مجموعة الأساطير والأمثال والشعر والنوادر والحكم المحكية والمحفوظة عن ظهر قلب والمروية بين الأفراد والجماعات والمستشهد بها فى البوادى والحواضر. ولهذا العلم شأن كبيرفى علم الاجتماع لأن فيه

(*) مقالتان بهذا العنوان نشرتا بمجلة المقتطف فى العددين ٣ ، ٤ ، مجلد ١٠٢، مارس وإبريل سنة ١٩٤٣.

(١) جاء بكتاب فوزى العنتيل « الفولكلور ماهو ؟ » أن وليم جون تومز يعتبر أول من صاغ اصطلاح الفولكلور :"Folklore" وأكدت جمعيه الفولكلور الإنجليزية هذا الاصطلاح عندما تأسست سنة ١٨٧٧ . وقد اقترح تومز هذا الاصطلاح ليدل على دراسة العادات المأثورة والمعتقدات وكذلك ما كان معروفاً فى ذلك الوقت بالآثار الشعبية القديمة .

أما جمعية الفولكلور الإنجليزية فقد أعلنت عن أهدافها فى « جمع ونشر المأثورت الشعبية والأغانى الروائية الأسطورية والأقوال الحكمية المحلية والمعتقدات الخرافية (الخزعبلات) والعادات القديمة وكل الموضوعات المتعلقة بذلك ». ثم حددت الجمعية فى دليلها الجامعى «مختصر الفولكلور» الذى نشر سنة ١٨٩٠ الموضوعات التى ينتظمها هذا العلم فى المعتقدات الخرافية والعقائد والممارسات والعادات والمرويّات والأقوال الحكمية المأثورة .

وأحدث تعريفات الفولكلور هو أنه المأثورات الروحية الشعبية وبصفة خاصة التراث الشعبى وهو أيضا العلم الذى يدرس هذه المأثورات . وهذا التعريف مطابق =

الدلالة على طرق التفكير فى الحياة ووسائل الفهم التى ترشد العامة وهى الكثرة الغالبة وتنير أذهان الخاصة فى علاقتهم بالطبقات النازلة من المجموع ، وأول من عنى بهذا العلم عناية خاصة الأستاذ ماكس مولر الأستاذ بجامعة أكسفورد وأنريكو فيرى ونيتشوفورو وبرايس من علماء الاجتماع الأوروبيين . وفى الشرق ألف الميدانى الشهير كتابه فى الأمثال عند العرب وذكر أسباب شيوعها وحكمة الاستشهاد بها وهو يعد من أمهات كتب الأدب العربى . وفى العصر الحاضر ڤان جب الفلامنكى وفى مصر المرحوم محمود عمر الباجورى أحد علماء الأزهر ودار العلوم وأحد أعضاء الوفد الذى بعث به فى سنة ١٨٩٣ الى مؤتمر المستشرقين فى ستوكهلم عاصمة اسكاندينافيا (التى كانت مكونة من السويد والنرويج

= لتوصيات مؤتمر الفولكلور الذى انعقد فى ارنهيم بهولندا سنة ١٩٥٥.
وتجدر الإشارة هنا الى أن هناك تداخلاً بين الفولكلور والأثنولوجيا (علم الإنسان أو علم الشعوب وثقافتهم وتاريخ حياتهم) من ناحية ، وبين الفولكلور والأنثربولوجيا (دراسة الإنسان) من ناحية أخرى .
على أن الذى يميز مادة الفولكلور هو التداول والتراثية ، بمعنى أن هذه المواد يجب أن تكون متداولة وأن تكون مأثورة . وهذه المواد قد تكون أنماطاً أدبية ، أو لغوية أو علمية كالأساطير والشعر الشعبى والأمثال والألغاز والسحر والأغانى وقصص الخوارق والحكايات ، وقد تكون ممارسات فيما يسمى بأنماط الأفعال والتى تنشد استخداماً فنياً للحركة الجسمية كالرقص والألعاب الشعبية والتمثيل والاحتفالات.
(فوزى العنتيل ، الفولكلور ماهو ؟ » ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٥ ، ص ١٥ – ص ٨٢). ر.ل.ج.

متحدة تحت إمرة ملك واحد) • وقد ألف هذا العالم المصرى كتاباً فى الأمثال وآخر فى الأغانى والمواويل ، وثالثا فى النوادر والقصص الشعبى ، وأثبت أن قصة لوهنجرين (أوبرا ألمانية من وضع وتلحين ريشارد فاجنر) هى نفسها قصة عويد السدب التى تروى للأطفال فى القرى المصرية •

المقامة والفولكلور :

وقد اتخذ الفولكلور العالمى ، فى أدب اللغة العربية القديم صورة المقامة ، وهى فى اصطلاح علماء الأدب العربى قطعة من النثر يضاف إليه نظم فى كثير من الأحوال مبنية على قصة قصيرة خيالية فى معناها وحوادثها ترمى الى مغزى مميز وتؤدى إلى استخراج موعظة أو حكمة للتدبر والاعتبار على الغالب ، ولكل مقامة أو مجموعة من المقامات بطل واحد منفرد بصفات معينة كعيسى بن هشام أو أبى زيد السروجى • ويدور على هذه الشخصية أهم ما فى القصة من ذكاء وحذق ولباقة وكياسة وسعة إدراك وحيلة ومفاجآت ومغامرات وغرائب •

وليس البطل فى المقامة هو الذى يروى الواقعة أو يسرد الحوادث كما هى الحال فى قصة سندباد البحرى ، بل له راوية يسجل أقواله وحوادثه كالحارث بن همام فى مقامات الحريرى ، وعيسى بن هشام فى مقامات بديع الزمان الهمذانى التى بطلها أبو

الفتح السكندرى الذى يقول :

إسكندريـــة دارى لوقرّ فيها قـــرارى
لكنّ بالشام ليـلى وبالعــراق نهــارى

أى أنه جواب آفاق وصاحب مخاطر سريع فى التنقل وكأنه تنبأ بعصر السفر بالطائرات فهو يمسى فى الشام ويصبح فى العراق ولا يقر له قرار فى وطنه الإسكندرية .

وأسلوب المقامات أحد فنون الأدب العربى .

وحجتنا فى أنها كانت مجمع الأدب الشعبى أن أصل اللفظ اللغوى « مقامة » معناه مجلس أو ناد يقول فيه العلماء والأدباء والوعاظ حكمتهم وأدبهم ووعظهم ويضربون أمثالهم للحاضرين والسامعين ، وذكرها الجاحظ فى كتاب البخلاء ص ٢١١ فقال «يفيضون فى الحديث ويذكرون من الشعر (الشاهد والمثل) ومن الخبر الأيام (والمقامات)» .

وقد سرى فن المقامة المنطوى على أدب الشعب وأمثاله وحكمته من العرب إلى سائر الشعوب السامية ، فقلدهم الفرس والعبرانيون والسريان فوضعوا مقامات باللغة العربية بعد أن تعلموها وأتقنوها .

والحذر ثم الحذر من الظن بأن القصص التى تلقى على العامة كقصة سيف بن ذى يزن أو قصة عنتر أو فاطمة ذات الهمة هي من نوع فولكلور أو الأدب الشعبى ، فإن هذا نوع آخر يقصد به تثقيف

الجماهير وتسليتها ، أما الفولكلور وفى مقدمته المقامة فلا يقصد به إلا تعليم العامة الحكمة الإنسانية على وجه الاختصار والإيجاز بأساليب براقة لامعة تأخذ بالألباب .

نعم إن المقامات العربية كمقامات بديع الزمان من أهل القرن الرابع الهجرى قرن النثر الفنى ، ومقامات الحريرى من أهل القرن السادس الهجرى ، كتبت جميعها باللغة العربية الفصحى ، لأنها كانت لغة الكتابة والخطابة والحديث والأمثال . وكذلك المرحوم المويلحى (من أهل القرن الرابع عشر الهجرى) لما وضع كتاب عيسى بن هشام عن حياة القاهرة فى القرن التاسع عشر والعشرين المسيحى اتبع اللغة العربية بأسلوب مصنوع (مصطنع متكلف) مسجع غاية فى التأنق والتزويق يجمع من شوارد اللغة وفصيحها وعيون مفرداتها وتراكيبها وأمثالها ونوادرها مقداراً وافراً . ولكن هذا العمل كان تقليداً للحريرى وبديع الزمان وقد كان أكثر تحرراً من سابقه . ولكن أول من كتب المقامات وهو أبو بكر ابن دريد (من أهل القرنين الثالث والرابع الهجرى) لم يتبع الأسلوب الفصيح بل كتبها بلغة تخالفه . والدليل على ذلك ماجاء فى كتاب زهر الآداب « أن ابن دريد جاء بأربعين قصة وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره وأبداها للأبصار وأهداها الى الأفكار فى معارض حوشية وألفاظ عنجهية فجاء أكثرها تنبو عن قبوله الطباع ولا ترفع له حجب الأسماع

وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب منصرفة» انتهى كلام زهر الآداب ، ويستنتج منه أن ابن دريد ألف هذه الأربعين قصة وكتبها بلغة الشعب وأمثالهم فنفرت منها أسماع أهل الأدب ، ولكنه يعد بحق مسجلا أولاً للأدب الشعبى.

ويتكلم مؤلف زهر الآداب عن مقامات ابن دريد أو قصصه الشعبية كلام من قرأها واطلع عليها ولم توافق نوقه . وقد فقدت هذه المقامات ولو وجدت لكانت جزءا مهما من الأدب العربى القديم وتحفة وطرفة تاريخية ، ولكن بديع الزمان نفسه ألف أربعمائة مقامة فقد منها خمسون وثلاثمائة مقامة ولم يبق منها إلا خمسون.

ولكن أديباً معاصراً وهو الأستاذ العالم الفاضل خليل مردم بك أحد أعلام الأدب الشامى بدمشق اهتدى بعد بحث طويل واستقراء الى العثور فى أمالى أبى على القالى – وهو تلميذ بن دريد وخليفته فى فنون الأدب – على إحدى عشرة قصة مبعثرة فى الأمالى رواها صاحبها عن أستاذه ابن دريد وهى أكثر من ربع المقامات التى ألفها ، فيكون حظ ابن دريد أسعد من حظ بديع الزمان ، لأن الذى بقى من مقاماته ثمنها فقط . وإليك عنوانات هذه القصص التى تدل بمجرد الاطلاع عليها أنها من صميم علم الشعب (فولكلور).

١ – حديث النسوة اللاتى أشرن على بنت قيل من أقيال حمير بالزواج ووصفن لها محاسن الزوج (جـ١من أمالى القالى ص ٨٠).

٢ – حديث زبراء الكاهنة تنذر بنى رئام من قضاعة بين الشحر وحضر موت (جـ ١ ، ص ١٢٦).

٣ – حديث خنافر الحميرى مع رئيه شصار (الرئىّ معناه الروح الجنى الذى يألف رجلا ويطلعه على الغيب) (جـ ١ ، ص ١٣٣).

٤ – قصة مصاد بن مذعور وخروجه فى طلب زوج له وما أخبره به الجوارى الطوارق بالحصى (جـ ١ ، ص ١٤٣).

والجوارى الطوارق بالحصى هن من الجن اللواتى تظهر للبشر وتنبئهم بالحوادث وتنجم لهم بطرق الحصى مثل الأسطورة التى سجلها شكسبير فى مأساة ماكبث الشهيرة . وخلاصتها أن ثلاث عجائز من الجن ظهرن له فى الغابة وتنبأن له بعد حرق البخور بأنه يقتل ابن عمه الملك ويصل الى عرش أيقوسيه ، فكان ذلك باعثا له على قتل ابن عمه .

٥ – حديث غسان بن جهضم مع ابنة عمه أم عقبة وكيف تراءى لها فى المنام بعد وفاته (ذيل الأمالى ص ٢٠٥) .

وقد ذكرنا بعض هذه المقامات أو القصص التى ألفها ابن دريد ولا سيما التى فيها أخبار النساء والكهانة والإخبار عن الغيب والأحلام والرؤى وشخصيات الجان ، لأن علم الفولكلور يدور على هذه المسائل . ولا ننسى أن أهل الشام يطلقون على علم الفولكلور اسم «دفتر النسوان » وفى مصر يسمونه « علم الركة » .

ومجمل القول فى هذا الباب أن علم الفولكلور قديم عند العرب

يرجع الى القرنين الثانى والثالث للهجرة . هذا اذا لم نرد أن نعود الى الأدب الجاهلى الذى كان حافلا حاشدا بهذا النوع من الأمثال والحكم والمواعظ . وعلى الرغم من رسالة الإسلام التى قضت على الكهانة والأساطير وأخبار الجن والتنجيم والرجم بالغيب، فإن هذا الفن (فولكلور) ظهر فى الإسلام مدونا من القرن الثانى للهجرة .

أهمية و مكانة الفولكلور فى الوقت الحاضر :

وفى الوقت الحاضر أخذ علم الفولكلور فى الأدب الأوروبى مكانه علياً لأنه يساعد الباحثين على الوصول الى ما يتطلبونه من المعلومات من ينابيعها الأصيلة فيما يتعلق بمظاهر الحياة المادية التى يحياها هؤلاء الناس الذين يتصدون لدرس عاداتهم وما احتفظوابه من تقاليدهم القديمة وماهم عليه من الأوضاع الاجتماعية والفردية ، فيعثرون على كثير من المواد التى يعتد بها العلم ويقابلها مع غيرها من أوضاع اجتماعية جرت عليها الناس فى بلاد أخرى من بلاد العالم مما يدخل فى اختصاص علوم كثيرة منها علم طبائع الشعوب (أنثولوجيا) وعلم الاجتماع وعلم التقاليد والعادات .

ومن أهم آثار الفولكلور العلم القائم بذاته بين العلوم أنه عمد الى تحليل مؤلفات الأدب العامى سواء مكتوبة كانت أم مخطوطة أم محكية ومروية وهى الحكايات والأحاديث المطولة (حواديت) والأغانى والمواويل (موالى) والأمثال والنكات والأمثال العامية التى لايمكن

العثور عليها فى ثنايا الكتب ولكن روايتها وتداولها بين الناس يجعلانها قريبة من الثبات فى شكلها مما يمكن أن نسمّيها مؤلفات أدبية . فأسمى مؤلفات الأدب الغربى وأشهرها كالإلياذة والأوديسة ومآسى ماكبث وفاوست مدينة بأصلها الى الخرافات العامية والأساطير ، وكثيرا ما يكون فيما كتبه الكتاب فى القرون الوسطى ولا سيما المؤرخون والجغرافيون منهم ، كلمات وتعابير خاصة بالصناعة والهندسة والثياب والمطاعم والتجارة والملاحة لا يمكن العثور على معانيها فى أكمل القواميس العربية وأكبرها ، ولكن كثيرا ماتكون هذه الكلمات باقية فى لغة من اللغات العامية التى كانت السبب فى حفظها وعدم ضياعها (انظر درس المستشرقين اللغة العامية للمستشرق أدمون صوصه ترجمة الداغستانى سنة ١٩٣٣) .

أما فيما يتعلق بالأدب العربى فإنه مستمد من حياة الأعراب اليومية قبل الإسلام . ومن المعلوم أن الشعر والمقامات والأخبار التى ترجع بأصولها الى حكايات ، كانت ترويها وتتغنى بها وترددها وتنشدها طائفة من القصاص والرواة والوعاظ والناصحين والمرتزقة ضربوا فى مجاهل الأرض على عدد من أفراد الشعب يلتفون حولهم فى زاوية من زوايا الطرق أو تحت خيمة أو فى فناء قصر أو فى مجلس عظماء أو فى حلقة فقراء .

فكيف يمكن بعد ذلك أن يدرس الأدب العامى أو علم الاجتماع

أو أخلاق الشعوب أو أخلاق المجرمين أو عادات المتشردين أو ضحايا المخدرات أو طبائع العمال والصناع والفلاحين والزراع دراسة مجدية اذا أهملت دراسة هذه الآداب والفنون والتحف العامية ؟».

وكثيرا ما يكون فى الأدب العامى ذى الطابع المحلى الخاص من العبقريات ما عسى أن لا يظهر فى الأدب الصحيح العام الذى قل أن تبرز فيه الطبيعة المحلية الخاصة . (أنظر كتاب ويلمور القاضى الإنجليزى عن براعة النكتة والقفشة فى اللغة العربية العامية بمصر ١٩٠٣) ففى فصول « خيال الظل » و« قره جوز » يظهر الفرق جليا واضحا بين الأمزجة المصرية والعربية والتركية ، فقد نقل المصريون والسوريون هذه الفصول عن الترك واليونان (بطل قره جوز اليونانى فاصوليا ديس) وفى فرنسا الملعب المسمى Grand Guignol ورواياته وقصصه وأشعاره وأغانيه ، وفى إنجلترا Punch and Judy show [١] وفى كل من البلاد الخمسة أو الستة التى ذكرناها حلت مظاهر الطبيعة القومية المحلية محل مظاهر الطبيعة المنقول عنها ، ففى الأغانى والأناشيد التى تتخلل

---

(١) خيال الظل من الفنون الشعبية التى لا يستطيع الباحث أن يحدد نشأتها ومراحل تطورها على التحقيق لأنها صادرة من وجدان الشعب وتعبر عنه فى مختلف مواقفه . وقد ذهب البعض الى أن موطن خيال الظل هو الهند والصين ومنها انتشر فى جميع بلدان العالم إلا أن هذا الفن لم يصبح فنا شعبياً قائما بذاته إلا فى العالم الإسلامى بعامة وفى مصر بخاصة إبان العصر الفاطمي . =

هذه الفصول مثلا قامت العاطفة العربية الحزينة الولهانة مقام العاطفة التركية الهفافة .

= ويعتمد خيال الظل على الصورة والضوء معاً ومن هنا جاءت تسميته لأن الخيال هو التصوير والتشبيه ، والظل هو انعكاس الصورة أو الخيال اذا سقط عليها الضوء. ويعد الشاعر محمد بن دانيال أشهر من ألف فى خيال الظل ، فوضع كتابا عنوانه «طيف الخيال» يحتوى على ثلاث بابات (تمثيليات) هزلية ، استخدم فى لغتها الشعر والنثر المسجوع ، وهذه البابات هى « الأميرة وصال » و« عجيب وغريب » و« المتيّم والضائع اليتيم » وقد صور فى البابتين الأوليين الحياة الشعبية فى العصر المملوكي فوصف الحياة المصرية فى الأسواق وبين فى بابة « عجيب وغريب » أحوال الغرباء والمحتالين من الأدباء الآخذين بذلك شأن المتكلمين بلغة الشيخ ساسان وأورد فى هذه البابة حيل أصحاب الحرف والصنائع ومصطلحاتهم التى يتفاهمون بها فيما بينهم وتخفى على غيرهم وهو مايعرف باللحن عند العرب والأرغوت Argot عند الإفرنج . وقد أسخط هذا الفن الشعبى الحكام والسلاطين فى مصر لما انطوى عليه من السخرية والنقد وسوء السياسة مع الرعية حتى أن السلطان جقمق أمر بإبطاله وإحراق شخوصه وأخذ على اللاعبين به العهود بأن لايعودوا اليه .
وخيال الظل – كفن شعبى – ليس نصاً معداً مكتوبا لمجرد القراءة فحسب ، بل إنه – كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس – يقوم أولاً وأخيراً على التمثيل الذى لايتم إلا بإعداد مكان له ومسرح يتم فيه ومهاد من المناظر تحدد المكان وأضواء وأزياء تخصص الجوّ والشخوص ثم بعد ذلك ستار يضبط البدء والتقسيم والختام ، (دكتور عبد الحميد يونس ، خيال الظل ، عدد ١٣٨ من سلسلة المكتبة الثقافية ، أغسطس ١٩٦٥ ، القاهرة ، إبراهيم حمادة ، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، القاهرة سنة ١٩٦٣ ، أحمد تيمور ، خيال الظل ، ط ١ ، القاهرة سنة ١٩٥٧ ، أحمد صادق الجمال، الأدب العامى فى مصر فى العصر المملوكى ، الثقافة والإرشاد القومى ، سنة ١٩٦٦ ، القاهرة). ر.ل.ج.

وفي فرنسا حلت عاطفة الهذر والمزاح والمجون محل النكتة الأنجلوسكسونية الباردة القارصة التي كأنها لفحة هواء أو أثر من عاصفة .

من علماء الفولكلور :

من أكبر العلماء الذين عنوا بالفولكلور فى العصر الحديث الأستاذ جيمس فريزر الذى قضى أربعين عاما فى تأليف كتابه The Golden Bough « غصن الذهب » وقد جمع فيه كافة الأساطير والروايات الدينية والقصص القديمة ومعتقدات الشعوب البائدة وأمثالهم وأشعارهم وأغانيهم وهى أصدق صورة لمعقولياتهم ، فأسدى أجل خدمة لعلماء الاجتماع وصار كتابه النفيس الذهبى حجة وثقة ومرجعاً . وهو لم يستثن إنكلترا نفسها بل سرد خرافات أهلها وأساطيرهم وأغانيهم ونوادرهم لأنه عدها فننا من أفنان الشجرة الإنسانية خاضعة بحكم الجنس لكل ماسرى من قوانين الحياة ونواميس الوجود والاجتماع على سائر الأمم .

وربما كان فى مصر أو فى العالم العربى من يخجل من ذكر خرافة أو عادة مستهجنة أو مثل حوشى أو حكمة سوقية مع انطواء العادة أو الخرافة أو المثل على موعظة عالية تكونت على مدى الأجيال والقرون .

ولا ننكر أن أمم الشرق مابرحت تتدرج فى نبذ الخرافات التى لا تلتئم وروح الإسلام كالزار والتنجيم ، ولا ندعى أن فى هذه الخرافات ما يؤسف على نبذه وإهماله ولكن لا محيد عن القول بأن فيها ما قد يصلح أن يتألف منه بعض التراث الوطنى للشعوب الشرقية كأسماء ملوك الجان (شمهورش وشركائه) وعاداتهم وثيابهم وضحاياهم (كالديك الدندى الأبيض والحمل والحمامة الزرقاء) ومصوغهم وأصباغ وجوههم وألفاظهم (ويعزونها الى اللغة السريانية) والأناشيد التى تنشد على دق الطبول .

حاجة الشعوب الى جمع مأثوراتها الشعبية :

وإن هذه الشعوب التى تشعر الآن أكثر مما كانت تشعر قبلا بنزعتها الوطنية وحاجتها الى الاحتفاظ بذلك التراث الوطنى ، لا يمكنها بل لايجوز لها أن تهمل ما تتألف منه مظاهر الأنماط التى جرى عليها السلف فى كل يوم من أيامهم .

على أن هذه الحياة التى قضاها السلف والأجداد بالأمس وما برحت ماثلة أمام أعيننا بآثارها لن تلبث أن تصبح من ذكريات الغد البعيد ، ولذلك لم يبق من الوقت إلا ما يكفى أن نجمع شواهدها وأعلامها للأجيال القادمة قبل أن تتوارى فى طيات العدم وتصبح نسيا منسيا . هذا ما عملت به من زمن قديم الأمم الغربية بشأن مظاهر حياتها الشعبية وما شرع فيه أخيرا بعض الأمم الشرقية

كاليابان وتركيا ،فهى تجمع فى متاحف خاصةأنتوجرافية وأنتولوجية طائفة من الثياب والحلى والمصوغ والشارات والأوسمة والأشياء التى يستعملها الشعب فى قضاء مطالبه وتحتفظ بمجموعات من الأقراص الفونوغرافية التى سجلت عليها الأغانى العامية ، عدا ما تسجله وتطبعه من الأمثال والقصص والنكات والشواهد العامية ، لأن اللغة العامية هى أعظم مظهر من مظاهر الحياة الشعبية ، فبها وحدها تستطيع أن تعرف وتحفظ أسماء الأشياء والأدوات والآلات [illegible] التى كان يستعملها أجدادنا [illegible] والأمثال التى [illegible] فجمعوا فيها الكثير من الحكمة والخرافات التى يعتقدون بها فتنبىء عن وجهة نظرهم فى الحياة ، ويزيد على ذلك أن اللغة العامية غنية بالنكات والمهازل والنوادر مما لايمكن أن يوجد مايعدله رشاقة ودقة فى اللغة الفصحى ، وهذا مايحمل الممثلين والمؤلفين المعاصرين على الالتجاء الى اللغة العامية فى التأليف والتمثيل فنجحوا نجاحا أكبر من نجاح المؤلفين والممثلين الذين يؤدون عملهم باللغة الفصحى . وهذا مايدعو الصحف الهزلية فى إنكلترا وفرنسا وأمريكا والشرق الى تفضيل اللغات العامية على الفصحى فى معظم ما تكتبه وتصوره وتتمثل به .

ملاحن المجرمين وأرباب الحرف والصنائع :

ومن الأمثلة الحية على فوائد علم الفولكلور ماتوصل اليه نيتشو فورو وبرايس وإدمون لوكار – وكل منهم من علماء الاجتماع

الجنائى – من كشف اللغات السرية والرمزية Slang, Argot وهى اللغات التى يستعملها المجرمون فى العالم فى التخاطب والتراسل وينقلون بها أهم أسرارهم فى اقتراف جرائمهم · وقد وضعت لها قواميس وشرحت وحلت رموزها فاذا بها مزيج عجيب مدهش من اللاتينية واليونانية والعامية المحرفة عن معانيها الأصلية الى معان جديدة تواطئوا عليها ولها قانون ومفتاح يمكن بهما قراءتها على حقيقتها ·

ملاحن أصحاب الحرف والصناعات فى مصر :

وفى مصر يوجد لهذه اللغات مثيل فى مايسمى « سيم » وهى كلمة مأخوذة من لفظ سيما كقول الله « سيماهم فى وجوههم » أى علامتهم أو إشارتهم أو دلالتهم ، وكذلك الألفاظ التى يتكون منها «السيم » هى إشارة أو علامة أو رمز للحقيقة المقصودة ·

وقد اخترع أصحاب الحرف والصناعات لغات خاصة بهم ، فالبناءون والنجارون والحدادون وضعواألفاظايعبرون بهاعن صاحب العمارة والمقاول والمهندس والأجرة والطعام والشراب وسرقة الأدوات · كما وضع المنجدون وصناع الفراش والأثاث كلمات للدلالة على ربة المنزل وأولادها وبناتها وقرب دنوها من محل عملهم للتفتيش عليهم وأسماء الأقمشة وأدوات الصناعة ومايمكن أن يسرق منها وما لا يسرق· وقد وضع أحد علماء المصريين قاموسا لهذا

النوع من اللغات الرمزية [1]. واسمه عند العرب فى اللغة الفصحى الملاحن . وقولك تلحن الى فلان أى تشير إليه إشارة رمزية أو سرية ، ومرجع الأمور فى كله الى قيمة القديم السالف . والناس فى معظم أحوالهم لا يرتاحون إلا الى القديم ضمن الحديث ، ولذلك يقلقون أمام الصور الجديدة فى الحياة والمجتمع والتى لم يألفوها ، ويتألمون من الصور القديمة التى أصبحت بالية لا تتفق مع روح العصر . وهذا الذى صرف العلماء والأدباء فى الشرق عن درس الفولكلور وجمع فروعه والاستفادة بشواهده وحكمه .

الشرقيون بين الماضى والحاضر والمستقبل :

والشرقيون ولا سيما المصريون قلقون اليوم لأنهم مترددون بين الماضى والحاضر وبين الحاضر والمستقبل لايعرفون أية صورة من صور الحياة يتبعون ولا الى أى قطب من هذين القطبين يتوجهون ، فالماضى يهزهم والحياة الجديدة تستفزهم ، إلا أن الماضى المحسوس أثقل على كاهلهم من المستقبل المجرد وهم سواء أأبوا أم أرادوا سائرون بحكم الضرورة فى تيار المدنية الحديثة . ولعل أبدع صورة صالحة لحياة الشرقيين لا تتم إلا بتحليل هذا الماضى القديم الى عناصره المقومة . فإن الأمم الحديثة لا تستطيع التجرد

---

(١) يقصد المؤلف نفسه ، وقد ألحقت هذا القاموس بآخر الكتاب بعد البحث المعقود فى « اللحن أو اللغة السرية » ، ص ١٣٣ – ١٩١ .

من جميع عناصر حياتها السابقة ، فمن يبنى حضارة حديثة وآدابا جديدة على أنقاض حضارة قديمة يستفيد من أوضاعها وخططها وأنقاضها ويجمع بين الماضى والمستقبل ويضع القديم فى الحديث ولكن الصورة المجردة التى فى نفسه هى أصل إبداعه .

دراسة نفسيات المجرمين عن طريق الفولكلور :

وسنرى فى رأى العلامة ماريو جول المؤرخ الاجتماعى العظيم فائدة الجمع بين القديم والحديث فى درس النفسيات عن طريق علم الفولكلور الذى انفرد بإتقانه والتبحر فيه.فقد كتب أنه درس اللغات السرية فى فرنسا ووقف على أسرار المجرمين قال : لقد درست فى أنحاء باريس عقلية أصحاب الأدب الشعبى .. وقد ظهر لى أن ارتقاء الفكر وازدياد المعرفة لا يقتضيان بالضرورة ارتقاء فى الأدب والأخلاق لأن حكم الحال غير حكم المنطق والمقال. فقد تنمو المدارك العقلية ويتسع أفق الخيال والتفكير وتجمد مع ذلك العواطف وتجف الميول وتنضب ينابيع الرحمة المنسجمة مع القلب ، فليس كل ارتقاء عقلى مصحوبا بارتقاء خلقى وقد تعرف الشىء ولاتعمل به ، وتدرك الواقع ولاتفكر فى إصلاحه ، كهؤلاء المجرمين والمستهترين وأعداء المجتمع والمتآمرين على الثروة العامة الذين عاشرتهم طويلا فى مختلف أنحاء باريس لأدرس أخلاقهم ولغاتهم وأسرارهم ورموزهم. واذا سار المرء زمانا على طريقة الإجرام وفكر طويلا فى طرائق

الخلاص والنجاة بنفسه وبالغنيمة وتجنيب أعمال الشرطة والمتعقبين وتضليل رجال العدالة ، أصابه ركود فى التفكير واضطراب فى التصور وتشويش فى العمل وقلق فى النفس لأنه كالحيوان المطارد الذى يقتفى أثره الصائدون فتجمد عاطفته ويصير كالآلة التى تتحرك بإرادة غيره لا بنفسه فيخسر صفته وينحط الى أدنى دركات الحيوانية ويخلو من العاطفة وتنقلب صور الطبيعة والحياة فى نظره الى صورة واحدة فلا ابتسام على ثغر الزهر ولا نور فى أشعة الشمس ولا أمل فى حمرة الشفق كأن هذه الألوان قد تبدلت أو تقلبت الى لون قاتم غامض كما تتبدل ألوان الأشياء التى رسمتها أشعة الشمس بظلالها فضاعت العذوبة من الحياة وأشبهت الموت .

وقد تجلت لى هذه المظاهر فى حياة المجرمين وتدبير جرائمهم وتنفيذها ووسائل الفرار . إنهم يتصورون بالتخمين والحدس معنى للجريمة وخيالا عاماً مبهما يقلبونه بالتدريج الى شكل حسى وصورة مشخصة أو مجسدة ، فرئيس العصابة يدرك النهاية قبل البداية ثم يعود ورفاقه - ولا سيما الأقوياء فى التفكير منهم وأصحاب الأخيلة الخصبية - الى المبدأ فيفكرون فى الوسائط والوسائل التى يمكن الانتقال بها شيئا فشيئا الى الغاية . وعند ذلك تصبح الغاية المجردة وهى القتل أو الحصول على المال أو خطف الشخص أو المؤامرة الجنائية مشخصة مجسدة ثم يجمعون العدد والآلات والثياب ووجوه التنكر ويستعرضون الحوادث المقبلة

ويصورون الواقعات المحتملة والمواقف الحرجة والأخطار التى يستهدفون لها ويصفون الأشخاص والأماكن ويحددون الأوقات تحديدا دقيقا يستطيعون به تحقيق الغاية التى يتطلعون اليها، وكثيرا مايرسمون الخرائط والخطط قبل حدوثها فتأتى منطبقة على الواقع الذى سوف يجرى ويقع ٠

ثم يضعون الألفاظ والأسماء التى يتعارفون بها ويهتفون بها فى أوقات الخطر ثم الأناشيد التى ينشدونها بعد الفوز بالغنيمة والنجاة من الخطر حتى أصناف الطعام والشراب التى يتمتعون بها ويحتفلون بها بعد النجاة ٠ فانظر الى سعة الخيال وقوة التصور وقدرة التأليف وإرادة التنفيذ الباعثة على النجاح عند هؤلاء المجرمين ٠

فالواقعات التى تخيلوها والاستعدادات التى أتموها والألفاظ التى وضعوها والجمل التى ركبوها مقتبسة من حياتهم فى وسط المجتمع الذى نصبوا أنفسهم لمحاربته انتقاما من المظالم الحقيقية أو الوهمية التى اعتقدوا أنها واقعة عليهم ، ولولا وجود هذه العناصر ما أمكن التركيب » أ هـ كلام هذا العالم الفحل الذى لم يتغلغل أحد قبله فى تحليل نفسية المجرمين بفضل إتقانه علم الفولكلور وعلم النفس الاجتماعى فى شتى الطبقات الإنسانية ٠

السحر والتمائم والحجب
والرقى والعزائم
فى معتقدات الشعوب الشرقية والأمم السامية وغيرها (*)

الحجب والتمائم :

لابد أنك أيها القارىء رأيت أطفالاً من الطبقة الفقيرة حملتهن أماتهن أحمالاً من الحجب المختلفة الأشكال والألوان والأوزان ، فمن « الخمسة » أو الخميسة التى تتقى بها عين الحاسد ، الى قرن الخرتيت، وعرق السودان ، وقطعة « الفاصوخ » الملتصقة بشعره ومدلاة على جبينه ، وبجوارها عقد صغير من الخرز الأزرق ، الى منطقة من القيطان ينتهى بحجاب ضخم ، قد كتبه أحد المشايخ فى ليال وأيام عدة ، وأخذ ثمنه جنيها أو جنيهين بعد أن رقاه برقية من «شمس المعارف » ، واذا مرت بجانبك سيارة تنهب الأرض نهباً فلا تهمل أن تلقى عليها بنظرة ، فسترى فوهة الماء بمقدمتها ، وقد ركبت عليها صورة شيطان بذيل أو نسر طائر أو قزم ضاحك وحوله عقد من الخرز الأزرق . واذا مرت بك السيارة وألقيت نظرة على مؤخرها تلمح فى نافذتها الخلفية ، صورة عروس أو قرد « خلف

(*) مقال بهذ العنوان نشر بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، الجزء ٧ ، ٨ ، المجلد الحادى عشر ، تموز وآب سنة ١٩٣١.

الحبايب » يتدلى ويترجح ، لأنه مربوط من عنقه الى سقف المركبة بخيط دقيــق كالمشنوق ، فاعلم يا أخى العزيز أن العفريت المذنب ، والخرز الأزرق والعروس المشنوقة ، كلها وقايات للسيارة وأصحابها، لتحويل عين الحاسد عن فخامة السيارة وسرعتها وجمال من فيها وثروتهم • فاذا كنت محباً للتاريخ أو لعلم الاجتماع أو باحثاً فى علم النفس أو دارساً للفلكلور ، أدركت لساعتك أن المسافة بيننا ونحن الآن فى القاهرة فى منتصف القرن العشرين ، وبين أجدادنا الأولين الذين عاشوا منذ عشرة آلاف سنة ، لاتزال من حيث العقل والاعتقاد قريبة جداً (١).

فقد كان الإنسان الأول فى فجر التاريخ يعيش وهو مملوء بالرعب من الكائنات والأحياء ، يحب الحياة ويتعلق بأهداب النجاة

---

(١) إن كل ما لدى المصريين من تعلق بالتمائم والتعاويذ والأحجبة كحجاب الحب والكره والحفظ (الوقاية) وآلاف التمائم التى تعلق فى رقاب الأطفال حتى تطول أعمارهم ويحفظوامن الحسد ، كل هذه إن هى إلا عادات وتقاليد ورثها المصريون عن أجدادهم القدماء الذين كانوا لا يسيرون خطوة إلا والتمائم ترافقهم وتحميهم ، وفى المتحف المصرى آلاف التمائم التى استعملها المصريون القدماء ، وكذا طائفة من التمائم التى نراها معلقة على العربات بل على سيارات الأغنياء والمثقفين بشكل خرز أو قلائد توضع دفعاً للعين ، هذه الخرافة ورثها المصريون أيضاً عن مصر القديمة ، فقد وجد فى مكتبة الإله حورس فى إدفو كتاب مملوء بالرقى والتعاويذ لطرد العين الشريرة •

(د• محرم كمال ، *آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية* ، *الهيئة المصرية العامة للكتاب* ، سنة ١٩٩٧ ، ص ٢٣ ، ٢٤) • ر•ل•ج •

بكل الوسائل ، فكان يلجأ الى التمائم والرقى والحجب ، ليحمى نفسه من الحسد أو العين الشريرة ومن سحر خصومه وقوتهم ، ومن تألب أعدائه عليه . وكذلك تحمل المرأة الحجب لتجذب قلب زوجها أو معشوقها وتجلب محبته [1] ، وكان بعضهم يلبسون الحجب لتقيهم الإصابة بالسلاح فى ميدان القتال . وقيل ذلك عن عثمان دقنة فى حروب السودان . وروى مثله الكولونل لورنس عن عودة أبو تاية الصديق العربى الشهير للحلفاء . فقد روى للكولونيل الشريف المخلص للعرب وللثورة العربية (؟!) أنه لا يصاب برصاص الأعداء لأنه محجب ، وأبرز حجابه الذى اشتراه بأربعة عشر جنيها « وكان يطلق على الجنيهات كلمة (نيرات) محرفة عن ليرات » ، فلما استأذنه لورنس فى فحص هذا الحجاب ، ألفى أنه نسخة فوتوغرافية مصغرة من القرآن الشريف المطبوع فى جلاسكو عاصمة اسكوتدلاندا ، وثمنها شلن وثمانية بنسات .

---

(١) لعب السحر عند المصريين القدماء دوراً كبيراً فى الحب ، فاذا أراد الرجل أن يستميل قلب امرأة كان عليه أن يستعمل تماثيل مصنوعة من شمع العسل صورت فى هيئة المنافس ويجرى عليها أعمالاً سحرية فاذا حدث من مفعولها الأمل المنشود كتبت بعض صيغ سحرية تحدث عند المرأة أحلاماً يظهر فيها العاشق فتخضع لسلطانه وتهيم به . وهذه الظاهرة تشاهد الآن فى الريف المصرى ، وقد ورد ذكر السحر فى الكتب المقدسة (وليم نظير ، العادات المصرية بين الأمس واليوم ، ١٩٦٧، ص ٢٧). ر.ل.ج.

وكذلك يلبس الشرقيون الحجب لتحمل نساؤهم العواقر وليتغلبوا على أعدائهم من ظهر منهم ومن اختفى • فلما انتقل الإنسان من حالة الفطرة وبدأ يعبد الآلهة ، أخذ يعتقد أن إلهه المعبود فى حاجة إلى الحجاب مثل حاجة العابد اليه ، ولم يتخيل أن إلهه يستطيع العيش بغير حاجة الى القوى السحرية التى تنطوى عليها الرقى والعزائم والحجب • ثم تطور فصار يعتقد أن الآلهة أنفسهم يمنحون البشر قوة السحر ، وكانت هذه الفكرة شائعة عند كهنة مصر المتحضرين ورفاقهم كهنة سومير وبابل •

الدين والسحر :

وانتحل هؤلاء الكهنة معتقدات أسلافهم ومزجوها « بالخفاء الدينى » أوسر الأسرار ، ومن ذلك الحين أخذ السحر والدين يسيران جنباً الى جنب ويداً بيد ••• فصار الآلهة سحرة ! وأخذوا يوزعون السحر على الناس بواسطة الكهنة ! لأجل هذا ترى فرعون محاطا بكهنة وسحرة •• وترى المعجزة الأولى التى ظهر بها النبى السامى الأول الذى بعث به الى مصر – كانت معجزة السحر، من نوع ما نبغ به أهل الملة التى بعث بها اليهم [1] .

---

(١) اختلط الدين والسحر اختلاطا كبيرا فى العقائد الدينية عند المصريين القدماء حتى أصبح من الصعب الفصل بينهما ، فكان الدين محاطاً بقوى خفية خارجة عن نطاق الفهم وحاول المصريون القدماء أن يستميلوا هـذه القوي بالتضرع تارة وبالفن تارة أخرى ، فالسحر هو الاعتقاد فى قوى خارقة للطبيعة تتركز فى =

فإذا اطلعت على الأدب المصرى القديم والأدب البابلى ، وجدت السحر فى معتقدهم جزءا لايتجزأ من حياة الآلهة الذين مازالوا فى حاجة اليه ليستعينوا به ، ويعينوا بعضهم بعضا ، وينقلوه الى الناس عن طريق الكهنة .

وقد تفضل العالـــم الفاضـــل الروســـى الأستاذ جولينشيف (Golenisceff) الذى كان حينا أستاذا للتاريخ المصرى القديم بالجامعة المصرية ، فنشر كاغدا مصريا اسمه « البابيروس الهيراتيقى » عدد ٥ ، ١١ و ١١١٦ حرف (أ) وحرف (ب) بمتحف الهرميتاج ببطرسبرج فى سنة ١٩١٣ ، وعهد هذا الكاغد لايتجاوز الأسرة الثامنة عشرة ، ولكنه نسخة من أصل يرجع تأليفه لعهد الأسرة التاسعة أو الأسرة العاشرة . وهو خاص بالسحر وقد أطلق عليه بين العلماء اسم (بابيروس بطرسبرج) ، وإليك بعض ماجاء فيه خاصاً بالسحر .

= أشخاص معينين أو أشياء خاصة وكان الكهان المرتلون والأطباء يمارسون صناعة السحر ، كما كان الدواء لايعدو أن يكون وصفات سحرية كما كانت كتب الطب تكاد تكون مجرد مجموعات ووصفات سحرية ، وينسب المرض غالباً الى تأثير أشباح مؤذية ولذلك كانوا يعتقدون أن المريض يمكن أن يبرأ ويبتعد عنه شبح المرض بواسطة بعض الصيغ السحرية ، وكانت العصا السحرية والتماثيل الصغيرة المصنوعة من الشمع والنصوص الدينية تستعمل للوصول الى الغاية المنشودة.

(وليم نظير ، العادات المصرية بين الأمس واليوم ، ١٩٦٧) ر.ل.ج .

« إن الإله الأعظم (ربما كان يقصد رع) خلق السحر لمنفعة البشر » . وقد كتب الملك خاتى الذى حكم فى الفترة الوسطى بين الأسرة السادسة وبين ملوك طيبة ، فى الألف الثالثة قبل المسيح رسالة أمر فيها ابنه « مرى -كا- رع » أن ينفذ ماجاء بها بالدقة . قال الملك : « إن الله (كذا) قد أنعم على الناس بخيرات كثيرة ، لأنهم رعيته وقطيعه المحتاج لعنايته ورعايته وعطفه ، وقد خلق السماوات والأرض لإسعادهم وهناءتهم وبدد ظلمات البحار (يقصد المحيط الأول) وخلق نسيم الحياة ليستنشقوه ، وخلق الله جميع الخلق (رجالا ونساءً) على صورته وصنعهم من أعضائه ، وهو يصعد الى السماء ليفرحهم ويحسن اليهم وينعم عليهم ، وخلق الفواكه والخضر والطيور ذات الريش والدواجن المجنحة (الدجاج والأوز والبط) والأسماك السابحة والأغنام والمواشى ليأكلوها . وتبارك الله فقتل أعداءه ، وأهلك أولاده إذ تذمروا ، وتألبوا عليه . إن الله الذى جلت قدرته قد جعل نور النهار إحساناً منه اليهم . **ثم إنه سبحانه خلق لهم السحر ليكون سلاحا يحاربون به قوة الشر التى تحيق بالحوادث ، ويقاومون أحلام الليل وأحلام النهار ومايزعجهم من رؤى ! »** .

وقرأ الأستاذ جولينيشيف كلمة (حيكاو) بمعنى السحر ، وهى التى تكتب فى الهيروغليفية من الشمال الى اليمين « حبل مفتول - ذراعان مرفوعان - طائر الصقر - واو مقلوبة - رجل راكع » .

وكلمة (حيكاو) هذه تؤدى معنى السحر والطلاسم والصلوات المرتلة ، وكلمات القوة وكل فن من فنون السحرة .

ويوجد فى المتحف البريطانى بابيروس تحت عدد ١٨٨ ١٠ يدل على القوة السحرية العظيمة التى كان يتمتع بها الرب (بيب - أر - جر) رب الحدود الذى كان اسمه أيضا خبيرا (أو الخبير !!).

وجاء فى « كتاب معرفة أجيال رع » أن الرب وجد بنفسه وذاته ، بمفرده فى المحيط الأول (استوى عرشه على الماء ؟!) بالاسم فقط، وذلك بطريقة « الحكا » أو السحر ، ولكن هذه الطريقة لم توصف ، وقد اشتغل بقلبه أى بعقله إلى أن صار كائناً ، فعرف المصريون بعد ذلك أنه خبيرا أو رع !..

ومعنى هذا *أن الرب* قد وجد بالاسم فقط ، وقد جاء فى الأسطورة أن الرب قد باح بهذا الاسم السرى أو الاسم الأعظم لإيزيس لتتمكن من حكم العالم به ، وسبب ذلك أن إيزيس تمكنت بسحرها من خلق أفعى عظيمة سامة وأمرتها بلذع الإله ، فلما لذعته وسرى السم فى بدنه وأيقن أنه لاشك هالك ، باح لها بالاسم الأعظم ، فقرأت إيزيس تعويذة شفته من لذعة الأفعى . فظهر حذق إيزيس فى السحرين الأسود والأبيض لأنها أماتت ثم أحيت.

وترى عند أهل بابل والأحباش عقائد لاتختلف عن معتقدات المصريين فى السحر والتمائم . كعقيدة احتياج الأرباب جميعا للسحر وما ينفع الأرباب ينفع البشر حتماً ، فترى عند أهل بابل

«دوبو شيماتى » أو ألواح القدر . وقد شمل السحر قدرة الشيخ على تفسير الأحلام ، وهو دليل اعتقاده بأن الآلهة تزيح الستار عن الحقيقة لبنى آدم بطريق الرؤيا الصادقة ، فذكر فى كتب القدماء كثير من الأحلام ، وجاءت فى الكتب المقدسة رؤيا يوسف الصديق ورؤيا فرعون وغيرهما . وكان اليهود يعتقدون فى (أوريم) و(تميم) وكانوا يسألونهما عن المستقبل كما كان شاول يستخير الله ، وكما كان اليونان يستفتون الوحى فى دلف ، وكما كان العرب يسألون أهل الكهانة وكانت الكهانة علما محترماً عندهم ، ونبغ فيه كاهنة اليمن التى أنذرت بخراب سد مأرب ومجىء سيل العرم ، وزبراء وسليمى الحميرية وعفيرا ، وفاطمة الخثعمية وزرقاء اليمامة.

ولما جاء الدين المسيحى صارت صور الرسل والشهداء والعذراء وبعض آيات من الكتاب المقدس بمثابة تمائم وحجب ، وقبل اختراع الورق كانت هذه الأشياء تكتب أو ترسم على الجلد والعظم والمعدن . واكتشف المسلمون أن لأسماء الله الحسنى فعلها السحرى ، وكذلك بعض آيات القرآن الكريم مثل « فبصرك اليوم حديد » ، وفى القرون الوسطى انتشر السحر الشرقى فى أنحاء أوروبا ولاتزال منه آثار باقية حتى الساعة . وفى فرنسا قرى يعتقد أهلها فى السحر ويطلقون اسم الساحر على أحد أهلها ، وهذا مشاهد فى مقاطعة ساڤوا . وألف هنرى بوردو كتاباً اسمه «البحيرة السوداء » ، قصة رجل يقتل زوجة خصمه بفعل السحر

عن بعد ، وأسس علماء الفلك والطبيعة والرياضيات علومهم على علوم السومريين والبابليين والآشوريين ، ويقول الأستاذ والاس بدج إن فى إنجلترا وأمريكا ألوفا من الناس يعتقدون بأمور كانت محترمة فى بابل وأشور منذ ٥٠٠٠ سنة ، فمهما كبر شأن العلم واتسع نطاق المعرفة وتأصلت الحضارة ، فلن يشفى الإنسان من عقيدة السحر ، والتعلق بالتمائم والحجب والتعاويذ والاعتقاد بالتنجيم وصدق التنبؤ بالغيب والكهانة ، وفى أوربا الآن أشخاص يعيشون ويربحون أرباحا طائلة من التنجيم وعمل الطوالع وكتابة الحجب والتنبؤ عن المستقبل ، وزاد الإقبال عليهم بعد الحرب ، وظهر فى الثورة الفرنسوية كاليوسترو الذى قبض على زمام باريس بسحره وشعوذته ، وفى أوربا وأمريكا مئات من أمثال هذا الرجل .

التنجيم :

ليس علم التنجيم من العلوم الحقة ، ولكنه يصدق غالبا فى معرفة أخلاق الناس بواسطة الطوالع التى تسمى (هوروسكوب). وفى أوربا لعهدنا هذا أباء خرجوا لأولادهم طوالع وهم يربونهم ولايحيدون عن نبوة الطوالع قيد شعرة . ويوجد أطباء أوربيون وعلى الخصوص إنجليز ، يعملون لمرضاهم طوالع ويتبعون العلاج الذى يظهر وصفه فيها . ويظهر فى إنجلترا فى كل عام تقاويم فلكية للتنجيم أشهرها تقويم مسترواتيت وتقويم سيفاريال ومس

أدمز . وكانت مدام تيب تصدر فى فرنسا تقويماً سنويا شهيراً ولما توفيت حل محلها كثيرون يتنبأون عن المستقبل ، واذا خاطبت عالما طبيعيا فى هذه الشؤون فإنه يؤكد لك أنها شعوذة ، فاذا ضربت له الأمثال بحوادث تعرفها معرفة شخصية يقول لك « لابد أن يكون فى الأمر سر لا أدرى ماهو ! » .

علم الكف :

أما علم الكف فقد ظهر فى الشرق والغرب ، وكان له شأن عظيم ، وألفت فيه كتب كثيرة وأشهر أربابه شيرو وهو رجل مختف وراء اسم مصطنع ، وتنبأ بمستقبل كثيرين من العظماء بمحض النظر الى خطوط أكفهم . وترى بعض علماء الكف يدلونك على ماضيك وحاضرك بمهارة ، وأطلق اسم شيرو على هذه الصناعة فصارت شيرومانسى .

وأشهر قراء الكف والوجه (علم الفراسة) من طائفة البارسى أو مجوس الهند الذين توطنوا فى بومباى بعد أن هاجروا من بلاد الفرس . وأقل ما يستفيده البارسى لنفسه من عمله بالكف أن يتقى الاختلاط بالشرار ممن يكتشف شرهم بقراءة وجوههم والتفرس فى أيديهم وكانت للعرب قدم راسخة فى الفراسة .

المندل وقراءة البخت :

أما طريقة « المندل » فطريقة علمية ، لأنها مبنية على تنويم الناظر مغناطيسيا ثم تستعمل العصب البصرى فى التأثير فى المخ فيستحثه فيبعث الى العين بمناظر الغيب ، وهو على أنواع أشهرها فى أوربا الطريقة الهندية أو النظر فى كرة البلور ، أو فى كأس ماء أو فى بحيرة أو فى مداد مسكوب فى الكف . وقد عرف بعض أصدقائنا رجلاً كان يقرأ المستقبل فى عظمة من لوح الضأن فيسرد الوقائع بانتظام عجيب ، ولايزال فى أيرلاندا واسكوتلاندا وأسبانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وبولونيا سواحر يعشن من قراءة « البخت» بالورق أو بغيره من أدوات المعرفة مثل فحص فنجان القهوة أو «الهمس» أو « قياس الأثر » ، ونعلم أن فى السودان وغرب إفريقية سحرة وبعضهم يتصدون لقتل الناس بالإيحاء ، فيذهب الساحر الى الرجل ويأمره بأن يموت يوم كذا ثم يتركه « ويحصر إرادته فى موته» ولايزال هكذا حتى يموت الرجل ، وقد وضع مستر سومرست موغام قصة فى هذا الموضوع وأيده الأستاذ بدج فى مقدمة كتابه فى العلوم الخفية ص ٣٣ .

وروى بدج نفسه أن مرشداًعربياً صحبه من دمشق إلى بغداد، وأخبره بأن السر فى وصولهماسالمين يرجع الى خمس خرزات زرق معلقة بأعلى جبين كل جمل فى القافلة ، وأقنعه بأن نجاح الأستاذ المؤرخ فى شراء الكتب المخطوطة فى وادى تيارى يرجع إلى الخرز

الأزرق وحجب القرآن التى كان يحملها العربى . ولما بلغوا الموصل أخذوا حفنة تراب من قبر الحاخام « هرمز » فأنقذتهما من شر اليزدية أو عبدة الشيطان ، ثم أخذوا حفنة مثلها من قبة إدريس فنجوا من الخطر فى الشلال الثالث . ولما نهب عرب شمر قافلتهم لم يجرؤوا على قتلهم بسبب حجاب من القرآن كان يحمله المرشد العربى .

وجاء فى ص ٣٦ من الجزء الثانى من كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (البخارى) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر النبى ﷺ حتى كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال : أشعرت أن الله أفتانى فيما فيه شفائى أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب ، قال ومن طبه ، قال لبيد بن الأعصم ، قال فبماذا ؟ قال فى مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر ، قال فأين هو ؟ قال فى بئر ذروان ، فخرج اليها النبى ﷺ ثم رجع فقال لعائشة حين رجع « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » فقلت : استخرجته ؟ فقال: لا ! أما أنا فقد شفانى الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً ثم دفنت البئر.

صنع التماثيل ووخزها بالإبر :

وفى رواية أخرى أوردها الشرقاوى والغزى فى الحاشية أنه ﷺ وجد فى الطلعة تمثالا من شمع ، تمثال النبى ﷺ وإذا فيه إبر مغروزة وإذا وترفيه إحدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألما ثم يجد بعدها راحة . اهـ البخارى وشرحه .

وطريقة صنع التماثيل من الشمع أو القماش ووخزها بالإبر أو الدبابيس لإحداث الألم فى الشخص المقصود والمصنوع التمثال على صورته شائعة فى الشرق ، وكانت معروفة لدى القبائل الوحشية من سكان أوستراليا الأصلاء والهنود الحمر وغيرهم . ولا تزال تعملها الضرائر بعضهن لبعض فى مصر [١].

---

(١) كان المصرى القديم يلجأ إلى الساحر إذا أراد التخلص من عدو ، وتخبرنا النصوص أن الساحر كان يطلب فى مثل هذه الأحوال لكى ينجح عمله أن يؤتى له بقليل من دم الشخص المطلوب أو قلامة من أظافره أو خصلة من شعره أو قطعة قماش من ثياب يكون قد لبسها ، فاذا حصل الساحر علي ما طلب صنع تمثالاً من الشمع بشكل الشخص المطلوب العمل له ووضع فى التمثال أو استعمل فى صنعه الأشياء التى أخذها ، فاذا تم له ذلك ألبس التمثال ملابس كالتى يرتديها الشخص نفسه حتى يشبهه تمام المشابهة ثم يبدأ فى أن يجرى على التمثال طائفة من =

وكان قيصر روسيا يلبس خاتما فيه قطعة من خشب الصليب الصحيح ويتعلق به ، وكان يعتقد أن هذا الخاتم قد وقى حياة جده فنسيه يوما فصادف حدوث قتله فى ذلك اليوم (راجع كتاب أصول الأوهام الشعبية تأليف شاربر نولصون ص ١٥٦) ، وكان مستر روكفلر الشهير يحمل فى جيبه حجر النسر وفى داخله أجسام لها كلما اهتز رنين خاص ويؤمن بأن هذا الحجر يقيه المرض والغرق وغيرهما من المصائب (الكتاب نفسه ص ١٠) وكان الأستاذ رايت المعلم فى كامبردج يلبس خاتماً من الذهب من لوانجو عليه رسم خاتم سليمان ، ويقول إنه لا يستطيع العمل إن لم يكن متختماً به.

وكان هنرى سيجراف يحمل تميمة فى جميع مسابقاته فنسيها يوم موته . والإنجليز من أهل أوستراليا يعتقدون بأن صورة الكانجرو تحميهم وتأتى لهم بصنوف من النجاح والنصر.

= الأعمال السحرية ، فكان إذا دق مسمارا فى التمثال أصيب الشخص بمرض واذا قرب التمثال من النار أصابت الشخص حمى خبيثة ، واذا طعن التمثال بسكين قتل الشخص أو جرح ، ويظل الساحر يزاول أعماله حتى يقضى على الشخص الذى يريده . فهذا النوع من السحر وعمل التماثيل من الشمع أو الطين ووخزها بالإبر والدبابيس هو الذى يستعمله السحرة الآن فى القرى والأقاليم المصرية (د. محرم كمال ، آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٧، ص ٢٢ ، ٢٣) ر.ل.ج .

وروى لى شاهد عيان أن الخديوى عباس حلمى يوم أطلق عليه الرصاص فى الأستانة (يوليو سنة ١٩١٤) بيد الطالب المصرى محمد مظهر ، كان يحمل فى أحد جيوبه حجراً من الزبرجد عليه بيت البردة الشهير :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأطم

فمرت الرصاصة على الحجر وانزلقت ، ولم تصب جسم الرجل ولو أنها تخطت الحجر الكريم ، لأصابت القلب نفسه.

الخرافـــة(*)

معنى الخرافة فى اللغات الغربية :

الخرافة هى رواية أو نادرة أو قصة ينسب فيها النطق والتكلم والفعل للحيوان أوالجماد لأجل التهذيب النفسى وتقويم الاعوجاج[1]، فيتظاهر الكاتب أو الراوى بأن تلك الأشياء التى لا تشعر والمخلوقات التى لاتعقل تنطق بعواطف وأهواء بشرية ويجرى على ألسنتها الموهومة مايجرى عادة على ألسنة بنى أدم فتحس وتتألم وتتشاكى وتتناجى كما لو كانت كائنات حية عاقلة مدركة سواءً فى التعبير عن خواطرها لأنفسها أو مخاطبة بنات جنسها أو مشافهة الإنسان ، وهى تفرغ عادة فى قوالب أدبية يتحرى واضعها الإتقان فى وضعها ومجانستها الحقيقة مجانسة تامة .

(*) مخطوط بهذا العنوان كتبه المؤلف سنة ١٩٤٢ .

(١) يقول فوزى العنتيل فى كتابه : « الفولكلور ماهو ؟ » :
إن حكايات الحيوان قصة تكون فيها الحيوانات هى الشخصية الرئيسية من أقدم أشكال الحكايات الشعبية إن لم تكن أقدمها على الإطلاق وقد وجدت فى كل مكان فى العالم فى جميع مستويات الثقافة ، فالخرافة حكاية من حكايات الحيوان تشتمل على موعظة أخلاقية تظهر فيها الحيوانات فى صورة شخصيات تتحدث وتتصرف كالآدميين بهدف تأكيد درس أخلاقى للناس أو بقصد النقد اللاذع أو الهجاء لتصرفاتهم . ولئن كانت الخرافة ليست تأليفا شعبياً إلا أنه من الممكن اعتبارها جزءاً من المادة الشعبية ، كما أنها بعد تأليفها قد تتزل الى العامة وتصبح من رصيد التراث الشعبى الشفوى ، وليس من السهل تحديد الحد الفاصل بين الخرافة فى الأدب والخرافة الشعبية (فوزى العنتيل، الفولكلور ماهو ؟ ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٥ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦)

والراوى والسامع كالكاتب والقارىء فى هذا الأمر كلاهما متفق ومدرك حقيقة التشبيه والتمثيل ما لم يكن القارىء أو السامع ذا معقولية ضعيفة كمعقولية الأطفال الذين يتقبلون بالتصديق كل ما يسمعون أو يقرأون.وقد تكون الخرافة للموعظة أو التسلية والتفريج. وهى إذا عرضت على العقل فى مجال الجد والمنطق لا يقبلها العقل ولا يصدقها ، ولكنه يقبلها أثناء سماعها أو قراءتها على أنها خرافة أى مخالفة للعقل والمنطق والحقيقة ، ويشمل هذا الوصف أيضا الواقعات المروية فى الشعر القصصى كالقصائد المطولة التى تسرد أعمال الأبطال المتخييلين أو التاريخيين الذين تضاف اليهم أعمال مستغرقة فى المبالغة مثل حوادث عنترة أو أبى زيد الهلالى سلامة أو دياب بن غانم أو دون جوان أو دون كيشوت ، أو تشايلد هارولد أو بعض حوادث الإلياذة والأوديسة ومغامرات السندباد البحرى أو روبنسون كروزو .

وقد أطلقوا هذا الاسم فى العادة على خرافات إيثوب الحكيم الحبشى الجنس اليونانى النشأة.وخرافات لافونتين الأديب الفرنسى ولكل منهما ترجمة باللغة العربية ، ومعظم خرافات لافونتين مقتبسة أو مستعارة من إيثوب . وكتاب « كليلة ودمنة » تأليف بيدبا الفيلسوف الهندى وترجمة عبد الله بن المقفع من قبيل الخرافة ، وقد جعله على ألسنة الحيوان والطير .

وحديث الخرافة هو ما لا يوافق العقل وإن وافق النقل وقال الشاعر في تفنيد شيء لا يوافقه :

حديث خرافة يا أم عمرو !

وتطلق الخرافة على النادرة لغرابتها والنكتة المضحكة إذا نسب فيها الكلام لأحياء من البشر أو روى عن أشخاص لم يوجدوا ولكن سخر الراوى أخيلتهم ليقول نكتته أو يعبر عن فكرته .

وأصل الكلمة فى اللغات الغربية من اللفظ اللاتينى «فابل Fable» بمعنى تكلم فانصرف إلى الكلام الفارغ فى ظاهره الملآن فى حقيقته بما يهذب النفس أو يسليها أو يعظها أو يحذرها من أمر مكروه أو ينبهها بلطف ولين فى الحالة التى تكفى فيها الإشارة عن العبارة عند أهل الفطنة .

وكل قصة تروى للأطفال تكون من هذا القبيل لحاجتهم الشديدة الى التهذيب النفسى والتسلية واستعداد عقولهم فى حالتها الفطرية لقبولها ، وفي بعض البيوت الكبيرة تكون العجائز المصدر الأول لهذا النوع من الحديث وأهل شمال إفريقيا يسمون المرأة التي يأنس اليها الأطفال لحديثها « الخَّرافة » ، وفى مصر يسمى ماترويه النسوة للأطفال «أحدوثة» ، وبالعامية المحكية «حدوته» .

وقد عثرت على وحدة الخرافات و«الحواديت» فى موروثات الشعوب بالمشاهدة فى رواية الأوبرا الألمانية لوهنجرين من وضع ريتشارد واجنر وهي نفسها أحدوثة «عويد السدب » تصغير عود

لنبات معروف في الشرق . والأولى من الأدب الشعبى الألمانى وشقيقتها العربية من الأدب الشعبى المصرى . وهذا يدل على وحدة هذا النوع فى أقطار العالم ، ولكن هذا البحث من اختصاص علم مقارنة «الفولكلور» ، وإنما قصدنا أن نعرف الخرافة تعريفا تاماً بوصف أنها فرع أو لون من التاريخ ، وقد سمعت حدوتة عويد السدب فى مصر على لسان جدتى سنة ١٨٩٤ ورأيت أوبرا ڤاجنر لوهنجرن فى باريس ١٩٠٨. فكانت الحوادث والشخصيات والعمل الدرامى والملامح الواقعية ظاهرة حتى الجلاء وبعث الذكرى الكامنة بعد أربعة عشر عاماً .

معنى الخرافة عند العرب :

أما العرب فقد اختاروا لفظا آخر غير« فابل Fable » المشتق من الكلام باللاتينى وقالوا خرف من المخرفة وهى كلمة نطق بها عمر بن الخطاب دلالة على الطريق ، وربما كان أصل المعنى مجازيا بأن السير فى الطريق يحتاج فى قطعه إلى حكاية مسلية أو مدهشة تثير العجب فتخفف من مشقة السائرين أو المشاة ، ثم أُطلقت على الحمل الوديع لبساطة الفهم فيه ولكونه مضرب الأمثال في البلاهة سواءً فى حركاته أو صوته أو سهولة انقياده للذبح وهو لا يعلم أنه سائر الى الفناء فيأكل البرسيم ويتبع مطعمه كظله وفى يده السكين، وبمعنى اجتناء الثمار أي قطعها وفصلها بسهولة عن

جذورها ومنابتها وبهذا سمي فصل الخريف خريفاً لاجتناء الثمار فيه كما يذبح الخروف كأنه ثمرة تقطع بسهولة .

وتقعر اللغويون وتعالموا لما خفى عليهم أصل الكلمة فزعموا أن « خرافة » اسم رجل من قبيلة عذرة استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا « حديث خرافة » وهذا التعليل نفسه « خرافة ». ولكن اللطيف فى بعض أدب العرب أنهم يسرعون فى اختراع الاسم وفى تلفيق الأنساب فيزعمون أن له نسباً فى قبيلة معروفة كما صنعوا في ذكر نسب شق وسطيح الكاهنين الشهيرين فى الجاهلية . ومخترع الاسم والنسب يعتقد أنه يزيد روايته توثيقا ويصيب عند السامع تصديقا . وهكذا سلكوا فى تعليل الأمثال فى بعض كتبهم المحترمة كمجمع الأمثال للميدانى وكتاب الأغانى نفسه ليقولوا حدث لفلان كذا وكذا فقال «الصيف ضيعت اللبن» فسارت مثلا ، وقالت الزباء «لأمر ما قطع قصير أنفه » فسارت مثلا الخ . ويبالغ بعضهم تأييداً لعلمية « خرافة » أنه لا تدخله الألف واللام لأنه معرفة (أى اسم رجل) إلا أن تريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل ..

وسمع النبى ﷺ حديث خرافة منطويا على حكمة أو حقيقة فقال : « خرافة حق » أى خرافة باطلة يراد بها حق . ويقال عن الرجل والمرأة إن أحدهما خرف أى أدركته مضاعفات الشيخوخة حتى لا يعلم من بعد علم شيئا ، وقد يكون صحيح البدن ولكنه

ضعيف العقل وهو نوع من الغفلة والغباء يصيبه بسبب التقدم فى السن ولا يصيب أصحاب العقول القوية أصلاً كالأنبياء والحكماء والفلاسفة والعلماء ، فإن كان الخرف مسببا عن مرض كالحمى فهو ليس الخرف المقصود إنما هو بحران الحمى أو « هلوسة » وهو كلام يصدر عن المريض كأنه يتكلم وهو نائم أو يصف حلما أو يتوهم من يخاطبه فيجيبه .

وقد توسعنا فى هذا الشرح لنبين المقصود من لفظ خرافة وهو الإمعان فى مخالفة العقل ولكن عقل الصبى والجاهل يقبلها على أنها حقيقة وعقل الراشد يقبلها على أنها تواطؤ ضمنى بينه وبين الراوى أو الكاتب على أنها لون من الرواية أو قالب كلامى لا يصلح إفراغ العظة أو الإشارة إلا فيه.

خرافات تاريخية :

وهذا اللون بكامل أجزائه قد دخل فى التاريخ وصار جزءاً منه لأنه من أقدم أنواع الكلام التى لازمت الإنسانية من فجر حياتها إلى عصرنا هذا ، ولنضرب بعض الأمثال عن الخرافات التاريخية أى التى سجلها التاريخ :

نقل هيرودوت المؤرخ اليونانى (والد التاريخ كما كان يسمى) أن موظفاً مصريا فى هيكل المعبودة نيت فى صا الحجر أخبره أن النيل يولد بين سيين وايلفنتين (أى بين أسوان وجزيرة فيله) وأن

شطراً من مائه يجرى الى مصر والشطر الآخر الى النوبة . فنقلها المؤرخون عن هيرودوت مع أنه علق عليها بأنه يميل الى الظن بأن ذلك الموظف كان يمزح . وهذا التعليق يوضح معنى الخرافة بأنها تثير الشك فى ذهن سامعها أو قارئها حتى يظن أن الراوى أو الكاتب يمزح ولا يقول حقاً . وأراد الملك ابساماتيك أن يعرف عمق الهاويات التى ينبع منها النيل فصنع حبلا طوله عدة ألوف من «الأوراى » مقياس يونانى قديم يعدل مترين تقريبا ثم أدلى به فى الهاويات فلم يصل الى قاعها .

فصنع هذا الحبل وإن كان ممكناً عقلاً إلا أن شدة العمق إلى هذه الدرجة مستحيلة .

أيام السعد وأيام النحس [١] :

ولأن هيرودوت وصف مصر بأنها بلاد النقائض ومخالفة العرف والعادة فى أنحاء العالم ، تعمد أن يذكر أموراً تؤيد وصفه وأتى بالمدهش والمغرب (راجع الفقرة ٣٥ من كتابه) كقوله «الرجل فى مصر يلبس ثوبين والمرأة تلبس ثوبا واحداً ». ومن الخرافات الشائعة فى مصر وغيرها من قديم الزمان القول بأن بعض الأيام والساعات ميمون مبارك والبعض الآخر نقيضها أي

(١) يعتقد العامة فى مصر أن هناك ساعات من النهار بل أياماً مخصوصة لا يحسن بالمرء أن يأتي فيها عملاً لأنها منحوسة ، وهذا الاعتقاد فى الأيام سعدها ونحسها قديم إذ كان المصريون القدماء يعتقدون أن الأيام تكون سعيدة أو =

غير ميمون ولا مبارك، كزعم أن من يولد فى الرابع الى السادس من شهر بابه يهلك بالحمى الاجامية أو بالعشق أو بشرب الخمر، وأن مواليد ٢٣ كيهك يموتون بلدغ الثعابين ٠ وهذه الخرافات ماتزال مصدقة عند العامة فى عصرنا هذا، فأهل أوروبا يبغضون يوم الجمعة وخصوصا إذا وقع فى١٣من الشهر، وبعض المسلمين فى مصر يخشون حوادث صلاة الجمعة من تأصل الفكرة عند أجدادهم واتخذ بعض الأدعياء فى التنجيم عادة نشر التقويم والطوالع فى رأس كل سنة فتصيب هوى من الكثرة ، فيقال يوم ٢٣ يونيه يخشى فيه من لبس الثياب الجديدة ويوم ٥ مايو يصلح لمقابلة الحكام ! ويوم ١٦ نوفمبر سنة كذا أوان ظهور الملاحم الدموية ، كما لو كانت

= منحوسة طبقاً لما وقع فيها من حوادث سعيدة أو كريهة فى أساطيرهم الدينية ، فاليوم الأول من أمشير الذى رفعت فيه السماء وكذا اليوم السابع والعشرون من هاتور الذى عقد فيه صلح بين الإلهين حورس وسيت وتراضيا فيه على اقتسام العالم كانا يومين كلهما سعد وبركه ، كما كانوا يعتبرون شهر توت أقدس شهور السنة لأنه يرمز إلى « تحوت » إله الحكمة ، كما ترمز أيام النسيىء الخمسة التى تكمل السنة عندهم إلى ولادة الآلهة أوزيريس وإيزيس وحورس وست ونفتيس ، أما اليوم الرابع عشر من طوبة الذى بكت فيه إيزيس ونفتيس على أوزريس ، فقد كان يوماً منحوساً، وكان هذا الاعتقاد من القوة فى العصر الفرعونى حيث أن كثيراً من الأعمال كالبدء فى سفر بعيد أو عقد صفقة تجارية أو ما إليها كان يؤجل لهذه الأسباب ، ومازال المصريون حتى الآن يؤجلون أعمالاً لهذا السبب عينه ٠

(د٠ محرم كمال ، آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٧ ، ص ٢٥ ، وليم نظير ، كتاب العادات المصرية بين الأمس واليوم ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٢)٠ ر٠ل٠ج٠

الملاحم الدموية نوعاً من الخضر أو الفاكهة . وفى أوروبا وأمريكا مئات ألوف الناس يعيشون على غفلة المعاصرين من بنى جنسهم وهم المنجمون والعرافون (من أسماء الأضداد) وأصحاب « علم الكف» ومفسرو الأحلام ، والدليل على استمرار هذه الخرافات فى التاريخ اتصال بعض هؤلاء الدجالين والمهوشين بالملوك والأمراء والحكام ، فكان لاسكندر الأكبر مفسر ومنجم ولجميع ملوك الشرق والغرب ، واتصل تشيرو «عالم الكف» بعظماء العالم وتكهن لهم وصارت أخبار هذه الكهانة تروى وتكتب فى الكتب المطبوعة وتروى فى المجالس ويصغى إليها كل الناس فحلت فى التاريخ محل الحقائق أحياناً .

عروس النيـل :

ومن الخرافات التى تبوأت مكانة مهمة فى التاريخ زعم مؤرخى العرب أن للنيل عروساً كان المصريون القدماء يقدمونها له كل سنة وهى عذراء مزينة زينة الزفاف الى بعلها ليلة العرس فتغرق وتموت، فإن لم يفعلوا فلا يفيض النيل [1] حتى أبطلها عمر بن الخطاب

(١) تضاربت الآراء فى أصل فكرة « عروس النيل » ، فزعم بعض المؤرخين العرب أن المصريين القدماء كانوا يقدمون فى كل عام عروساً من أجمل النساء الى النيل فى يوم وفائه (فيضانه) فيزفونها فى مهرجان شعبى فتركب العروس سفينة مزينة بالزهور والأعلام تسير على صفحة النهر ويدفعون لأهلها تعويضاً اعتقاداً منهم بأن هذا القربان يرضى النيل فلا يحرمهم من خيره وبركاته ، ولم يقلعوا عن هذه العادة فى زعم هؤلاء المؤرخين إلا فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على ما رواه المؤرخ العربى ابن الحكم . ويقول فريق آخر من المؤرخين إن الأصل فى فكرة عروس =

بخرافة أخرى وهى أنه كتب إليه كتابا وأمر ابن العاص بإلقائه فيه كأن النيل شخص عاقل وبالغوا فى التلفيق حتى ذكروا نص البطاقة التى حررها عمر : « من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الواحد القهار أن يجريك » فأجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا ٠٠ وكان ساعى البريد بين عمر بن الخطاب وبين النيل حاجل الصدقى ٠٠ ولم يذكروا اسم أبيه وقبيلته كما صنعوا عند ذكر اسم « خرافة » الشهير ٠٠ ولا نبحث فى تكذيب هذه الخرافة ولكن نشير الى أن عمراً الخليفة الثاني المشهور بسداد

= النيل هو أن المصريين القدماء كانوا يقدسون النيل ويقيمون له التماثيل المختلفة وكان يوجد فى جزيرة فيله بأسوان هيكل لاتزال آثاره باقية يحتفل القوم فيه كل عام بهذا العيد وذلك بإلقاء الحلى والقطع الذهبية تكريماً لهذا النهر ، بينما يقول البعض الآخر إن المصريين كانوا يلقون فى كل عام عروساً من الذهب أو البرونز أو الفخار وقت الفيضان حتى تكثر خيراته ، ويروون أن رمسيس الثالث قدم تمثالاً للنيل على هيئة امرأة جميلة لتكون زوجته ، فاذا حل الخريف وانحسرت مياه النهر أعيدت التماثيل إلى مكانها .

والواقع أن تلك الأسطورة ليس لها نصيب من الصحة على مايقول لطفى جمعه من أنها خرافة ، ذلك أن المصريين القدماء كانوا يقصدون بهذه العروس « أرض مصر » أى أن النيل متى فاض دخل على أرض مصر تشبهاً بالرجل عندما يلتقى بعروسه يوم الزفاف ، يؤكد ذلك أنهم لم يشيروا فيما نقشوه على آثارهم الى عروس النيل هذه، كما أن أوراق البردى التى دونوا عليها أنباء الفيضان ووصف الاحتفال به جاءت خالية من أية إشارة إلى هذه التضحية البشرية .

والخلاصة أن ماعرف فى هذا الصدد أن المصريين القدماء كانوا يقيمون حفلاً دينياً كبيراً قرب أسوان لدعوة النيل إلى الفيضان ، وكانوا يذبحون على سبيل القربان عجلاً أبيض وأوزاً وطيوراً ثم يلقون فيه بقرطاس من البردى يدعون فيه النيل للفيضان ولم يكن من بين الهدايا والقرابين التى كانت تقدم للنيل فتاة عذراء كما يزعم المؤرخون.

(وليم نظير ، العادات المصرية بين الأمس واليوم ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٤٩ — ص ٥١)٠ر٠ل٠ج٠

الرأى ورجاجة العقل والشدة فى الحق والمنطق لو فعل هذا كان يسجل على نفسه اعتقاده فى أن النيل شخص عاقل يقرأ ويسمع . وأن الخليفة أنذره بتغيير العهد وحلول دولة جديدة محل الدولة القديمة . ولو أن عمراً اعتقدها كان يأمر بصلاة الى الله ودعوات يرجو أن تستجاب لا أن يخاطب النيل مباشرة خطاب المدرك الذى يغضب إن لم تقدم له العروس العذراء .

وقد بقيت هذه الخرافة ألف سنة .

إحراق مكتبة الإسكندرية :

ومثلها زعمهم أن ابن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية الثمينة بأمر ابن الخطاب أيضا ولفقوا قصة جاء فيها أنها أحرقت لأن ما فيها من الكتب سواءً أوافق القرآن أم خالفه فلا حاجة للمسلمين به. والذي نشر هذه الخرافة عبد اللطيف البغدادى وذاعت وعاشت ألف سنة ، وأول من أقام الأدلة على كذبها المؤرخ جيبون ، وزعم البغدادى نفسه أنه لما زار مصر من ألف عام تقريبا رأى الناس يأكل بعضهم بعضاً فى الشوارع والأسواق والبيوت ونقل عنه أكثر المؤرخين مصدقاً ، مع أن الجائع والمحروم يقضى نحبه لضعفه أو يجن قبل أن يصل به الجوع الى افتراس بنى جنسه ولا يسمح له المأكول أن يأكله ، فإن قال يصنع الآكل كميناً للمأكول فإن المجنون لا تفوق حيلته حيلة العاقل والخائر القوى من الجوع لايملك أن يفترس فى حالة المسغبة لاشتداد ضعفه .

تحديد عمر الإنسان على الأرض :

ومن الخرافات العالمية تحديد عمر الحياة الإنسانية على الأرض بخمسة آلاف وستمائة سنة من خلق آدم الى ظهور عيسى ابن مريم ويكون عمرها فى سنة ١٩٤٢ الحالية ٧٢٣٠ سنة ، والسند فى ذلك تحديد أعمار الأنبياء والجدود الوارد فى التوراة بطريقة مضحكة كأقوال الأطفال ، فإن مجموع أعمار أبطال التوراة من آدم إلى إبراهيم ٢٠٢٣ سنة ومن إبراهيم إلى المسيح ٢٢٠٠ سنة ، ومايزال بعض الناس يعتقد أن متوشالح عاش مئات السنين وهذا القول لايعقل ولايؤخذ به وقد ثبت ببحوث العلماء وأعمال الحفريات أن الحضارة الإنسانية ترجع فى وادى النيل وحده إلى ١٦٠٠٠ أي مائة وستين قرناً إن لم يكن أكثر من ذلك .

ولما كثرت الخرافات فى التاريخ قال مكتشف اللغة الهيروغليفية « إن دراسة الآثار والكتابات والعلوم المصرية تهدم الأسس التى تقوم عليها الديانة وتدمر سلطان التوراة !! ولكن الإنسان المفترض فيه العقل والعلم والذكاء وحب الحقيقة كبعض رجال الدين اليهودى والمسيحى يقبلون الخرافات بل يضعونها ليتفقوا ونصوص التوراة كزعمهم أن نوحاً كان ملكاً فى مصر وكذلك مصرايم حفيده ، مع أن نوحاً كان مبعوثاً فى أورالكلدانيين والحضارة المصرية أقدم من التاريخ الذى ترى الكنيسة أن العهد القديم حدده لخلق الإنسان» .

وفى سنة ١٨٨٠ بعد كفاح لفيف من العلماء انهارت عقيدة الكنيسة بعد كفاح من جانبها استمر تسعين عاماً وأجمع العلماء على أن عمر الأرض خمسون ألف سنة وقال بعضهم إنه أكثر من ذلك وقد يكون مئات الألوف إن لم يكن بالملايين .

أعياد الأمم

أعياد مصر قديما وحديثا (*)

ربما كانت الأمة المصرية أكثر الأمم أعياداً على الإطلاق ، وفى كتاب «هيرودوت» وهو سجل تاريخى للأمم القديمة ، أوصاف مسهبة وجد جميلة للأيام المعدودة فى حياة الشعوب ، فمن بابل وأشور ، الى مصر وإفريقية الفنيقية (قرطاجنة)، ومن جزر اليونان الى كريت ورودس ، ويغلب على ظن الناقدين أن هيرودوت (ويسمونه والد التاريخ) كان خبيراً بعلم النفس الشعوبى أو «روح الجماعات» على حسب التسمية الحديثة . وكان سريع الإدراك للحالات النفسية التى تحرك الكتلة البشرية بمجرد وقوع بصره على الأحياء يتحركون فى مواطنهم ، فمما لاحظه وسجله أن المرح فى البلاد الحارة والمعتدلة هو العامل الأول فى حياة تلك الأمم فى جدها ولهوها .

الاحتفال بوفاء النيل :

فكان من أول ما وقع عليه بصره فى مصر ، احتفال المصريين بوفاء النيل، ولا سيما فى بوبست (موضعها الآن بقرب بنها العسل)، وإنك حين تقرأ وصف القوارب فى النيل واجتماع الناس محتفلين على ضفتيه وحفلات الرقص والغناء والنفخ فى المزامير والدق على

(*) مقال بهذا العنوان نشر بمجلة الرابطة العربية ، العدد ١١٦ فى ١٩٣٨/٩/٧.

الطبول ، وتلك الروح الخفيفة المرحة فتقرأ فى تلك الصفحات وكأنك ترى صورة حية طبق الأصل لما تراه الآن فى الأعياد والموالد ، وكأنك تشهد وصف حفلة وفاء النيل أو احتفال أهل ميت دمسيس بوفاء النيل ، تلك القرية التى لاتزال محافظة على تقاليدها المصرية القديمة بعد أن صبغتها بالصبغة الدينية لتجعلها ملائمة للزمان والمكان .

الأعياد والموالد :

وتلك هى إحياء عيد القديس (مارجرجس) ولنلاحظ أن معظم الأعياد والموالد القبطية للقديسة «دميانة» أو «مارجرجس» يشترك فيها الأقباط والمسلمون جميعاً ، على الطريقة القديمة السابقة لظهور المسيحية والإسلام ، فيخلعون رداء الدين الذى تدين به كل طائفة ، ويتخذون ثياب القومية المصرية القديمة ويقيمون معالم الأفراح الوطنية التى لها علاقة بالنيل والزرع والضرع والحب والزواج والأكل والشراب .

شم النسيم :

وهذا العيد الشهير المسمى « بشم النسيم » ليس فارسيا ولا يونانياً . ولكنه مصرى صميم ولاتزال الأدلة المادية ثابتة قائمة على

صحة هذا الرأى فى نقوش الدير البحري [1] حيث أقامت الملكة «هاتشبسوت» لها قصراً وضريحاً وأثراً فخما خالداً لا يزال يحج إليه السائحون ، وأصل هذا العيد تمجيد للآلهة «هاتور» وفيه سالت الدماء بمعركة حمراء حامية بسبب فتنة سياسية وسالت خمرة الشعير (الجعة أو البوظة؟!) لإخماد نارها. قال بريستيد فى كتابه « فجر الحضارة » وهو من أمهات الكتب فى تاريخ مصر : «لايمكن أن يكون عيد النيروز فارسيا ، لأنه كان موجوداً قبل دخول الفرس بأجيال عدة ، فهو عيد قومي محض وزراعى ولايمكن أن يكون إلا لقوم يعيشون على الأرض الخضراء ويتغذون بحبوبها وضرعها ويمجدون شمسها وكواكبها».

الاحتفال بمولد أبى الحجاج فى الأقصر :

وإن الموالد التي تقام فى بعض ناحيات الصعيد تكاد تكون صورة طبق الأصل من أعياد المصريين القدماء ، خذ ما يسمى

---

(١)كان شم النسيم يوافق موعد احتفال المصريين القدماء بأول فصل الربيع الذى يحتفلون به فى فصل الحصاد وقد أطلقوا عليه بالهيروغليفية اسم « شمو » وهو أحد فصول السنة المصرية القديمة ويشمل أربعة أشهر ، ثم حرف الاسم على مر العصور إلى « شم » وأضيفت إليه كلمة « النسيم » فأصبح علماً على هذا العيد . وكان المصريون القدماء يحتفلون بعيد الربيع كما يحتفل المصريون فى الوقت الحاضر بعيد شم النسيم .
(وليم نظير ، العادات المصرية بين الأمس واليوم ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٥٣ - ٥٦).

بمولد الحجاج ، وهو ولى وله ضريح ومقام مشيد بأعلى معبد أمون بهيكل الكرنك . والناظر فى هيكل أمون وهو أساس المسجد الحديث ، يرى صورة الزورق السماوى الذى يطوف به الإله فى بحر السماء . فما أعظم دهشتك عندما ترى على سطح مسجد الولى المسلم الحديث العهد بالنسبة لأمون سفينتين ضخمتين من الخشب الملون لهما عجلات كبيرة وهما لم تبنيا لتشقا عباب البحر ، ولا لتخوضا أمواج نهر النيل اللينة ، وإنما لتعرضا عرضاً جميلا فى زفة حافلة، فى مولد الحجاج .

فكما كان الإله أمون فى زمن الفراعنة يخرج فى احتفال مهيب من معبده مرة فى العام فى سفينته المقدسة فيطوف فى أرجاء مدينته التى يتولاها بحمايته ورعايته ، فإن أبا الحجاج يخرج هو أيضا مرة فى كل عام فى اليوم الرابع عشر من شهر شعبان فيطوف فى مدينته الأقصر فى احتفال يتضمن أكبر عيد محلّى يقام فى هذه المدينة ، وتقام حلقات الذكر فى ميدان الساحة على مقربة من المسلّة التى تقوم أمام معبد الأقصر .

وفى خلال سلسلة من الاستعراضات وألعاب الفروسية والمبارزة بالنبابيت وحلقات الرقص والغناء ، يكون قارب أبى الحجاج قد أخرج وأعيد طلاؤه ثم يوضع على عربة ذات أربع

عجلات وتغطى بقماش ملون ، فى حين يهلل الرجال الذين امتطوا ظهور الجمال ويتقدم قارب أبى الحجاج ويسير متمهلاً تارة ومتوقفاً تارة أخرى وحوله الناس يرقصون أو يذكرون الله ويثنون على وليهم أبى الحجاج .

والعجب العجاب أن أهالى الأقصر يدفعون بالسفينتين فى شوارع المدينة أثناء الزفة صارخين «آمون ! آمون ! آمون ! » فإذا ما سألتهم عن أصل هذه السفينة الماخرة فى البر بديلا من اليم قالوا «هذه سفينة الحجاج » ! وهو تفسير غير مفهوم ، فالعيد أو المولد هو فى الحقيقة عيد مصرى قديم وقد اتخذ صبغة إسلامية بعد دخول الإسلام أرض مصر أى منذ ألف وخمسمائة عام ، وسبق أن اتخذ صبغة مسيحية منذ عشرين قرناً أى بعد دخول النصرانية إلى البلاد .

ولقد كانت الأعياد الوثنية فى مصر أعياد شعب معذب مظلوم منهوك القوى ، يريد أن يتحرر فى غفلة من سادته وحكامه المستبدين ، فكان يتخذ من الحفلات العامة مفرجاً ومخرجاً من الآلام وكانت الأعياد المسيحية تغلب عليها صبغة الحزن والغم والهم، بمناسبة استشهاد القديسين ومقاساة الآلام حتى أن أكبر يوم عندهم يسمى «الجمعة الحزينة» وهو الذى يعقبه العيد . فهناك قتل وذبح وبكاء وعويل وذكريات أليمة ، بعكس الإسلام الذى كانت أعياده محدودة فعيد الفطر وعيد الأضحى ، وعيد عاشوراء ورأس

السنة الهجرية (ذكرى الهجرة المحمدية) ومولد النبى ومجموع هذه الأعياد لا يتجاوز عشرة أيام .

وهى الأخرى تأخذ صبغة قومية وأظهر ما فيها التجمل والتقمش والاحتفال بالتغذية على موائد خاصة وعامة وتبادل التحيات والتهانى ، فالطعام وتبادل التهانى هو أساسها ومظهرها .

ومازلنا محتفظين بعيدين عتيقين وهما شم النسيم ووفاء النيل. ولكن إخواننا الأقباط أحيوا عيد النيروز وصاروا يحتفلون به منذ أربعين عاماً . ويسمونه عيد رأس السنة القبطية . وهو الوصف الصادق للتوقيت التوتى (نسبة إلى توت) ، وهو فى الحق أجدر بالاحتفال من عيد رأس السنة المسيحية للأقباط لأنه عيد رأس السنة الزراعية ، ومصر سائرة فى حياتها الاقتصادية على أشهر العام القبطى لأنها أدق من كل تقويم أو« المناق» آخر .

النكتة المصرية فى اللغة المحكية واللغة الفصحى والنكتة عند الإنجليز والفرنسيين (*)

التنكيت والإضحاك والمزاح والهذر عند الإنجليز :

يقول الإنجليز humour ويقصدون به النكتة . وكلمة humour معناها اللغوى الحالة الوقتية للمزاج الإنسانى ، فيقول الإنجليزى "He is in a good humour" كما يقول المصرى العامي « فلان مزاجه رايق » ، وإن قال -"He is in a bad humour" فمعناها بالعربية المحكية « فلان مزاجه معكنن»، و «الروقان» و«العكننة » أوصفاء النفس وكدرها حالتان تنتابان الإنسان فى سائر أوقات حياته ولا ثالثة لهما .

وأطلق الإنجليز كلمة Humour بمفردها على النكتة بالمعنى المعروف فى اللغة العربية المحكية فيقال The english humour أى فن التنكيت الإنجليزى ويقولون A humorist يعنى فلان كاتب تنكيتى.

ولايجوز الخلط بين الكاتب التنكيتى مثل ديكنز وثاكرى وسويفت وبين الكاتب المضحك Comic ، فقد يكون المنكت مضحكاً كما هى حال ديكنز فى كتاب « بيك ويك » ولكن لا يتحتم أن يكون الكاتب المضحك منكتاً ، فإن الإضحاك فن إدخال السرور على

---

(١) مقال بهذا العنوان نشر بجريدة البلاغ فى ١٩٢٩/٩/٣١.

القارىء أو السامع بما يضحكهما . أما المنكت فقد يقول قوارص الكلم ، وقد يرمى الى ضروب الإصلاح بنكاته التى يستلذها العقل الذكى أولاً .

ويقول الإنجليز أيضا "He is a famous jester" من كلمة jest ومعناها المزاح الأدبى الذى اشتهر به لفيف من أدباء الكتاب ومشاهير الخطباء كما كان أوسكار وايلد فى مجالسه ومآدبه.

والهيومر الإنجليزى مباح فى الكتب والصحف والخطب السياسية ومجالس القضاء ، ولاتخلو جلسة إنجليزية من جملة نكات أدبية مهما كان موضوع القضايا ، أما Jesting أو المزاح فهو من خصائص المجالس حيث يظهر الفصحاء بفصاحتهم ومزاحهم اللطيف المقبول .

أما ما يخصدونه بكلمة "Joke" فهو الهذر ، وكل Joker مهذار، فإذا لقيك أحدهم وقال لك « إن فلانه مدلهة فى حبك وتروى حديث غرامها لكل من تلقاه ، فعليك أن تشفق وترحم وتعطف فإن الدهر قلب ، ولعلك تهوى سواها بأشد مما تهواك » . فإذا صدقته وقلت له : ماذا أفعل حتي أخفّف من لوعتها وأخلص من ذنبها بين يدى الله ؟ قال لك «إنها فى الردهة تنتظرك وقد احمرت عيناها من البكاء لهجرك !» ، فخرجت تلتمسها فوجدتها عابسة هازئة بك فإذا عدت لصاحبك تعاتبه فى ذلك قال « لم أكن إلا مهذاراً "I WaS only Joking" ، فلا لوم عليه لا يجوز لك أن تحقد عليه .

النكتة عند الفرنسيين :

أما الفرنسيون فالنكتة عندهم تقابل الذكاء ، فيقال فى لغتهم «فلان قادر على التنكيت أحيانا II a de L'esprit ، أو هو منكت حاذق II est sprituel ، وهذه نكتة Un mot d'esprit ، ولديهم غير ذلك قولهم "Calembour" أى نكتة بارزة ، Jue de mots أى لعب على الألفاظ وهو نوع من أنواع الجناس فى اللغة العربية ، واتخذها الإنجليز فقالوا play on words كقولنا فى العربية المحكية « من لا يصلى تركبه حرمة » أى ذنب ترك الصلاة، ولابد للقارىء أن يعرف إحدى هاتين اللغتين حتى يدرك ما ترمى إليه حق الإدراك .

ومن الأمثلة التى يصح الاستشهاد بها على اللعب بالألفاظ عند الإنجليز قولهم: ماالفرق بين القرد hairy parent (يعنى والد ذو شعركث أى القرد) وبين ولى عهد مملكة كذا An heir apparent (أى وارث العرش) ، والجملتان إذا نطقتا متشابهتان لفظاً ومختلفتان معنى وفيهما جناس لغوى .

أما الفرنسيون فلهم نكتة قارصة لاذعة تبدو فى مؤلفات نوابغهم وخطب فصحائهم ومرافعات النابهين من محاميهم فى ساحة القضاء ولديهم كتاب وشعراء أخصائيون فى ذلك .

أما اللعب على الألفاظ فقد يكون ميسراً للغرباء الذين يتقنون اللغة الفرنسية ، وقد كان محمود باشا أحد سفراء تركيا عالما بتلك اللغة وكانت له نكات وكلمات يتناقلونها ويروونها عنه على علاتها ،

من ذلك أنه كان فى محفل سياسى ، فابتدره وزير الخارجية الفرنسية بقوله Ia porte crie excllence وترجمته اللفظية «إن الباب يصر(يزيق) كثيراً يا صاحب السعادة»٠وترجمته الاصطلاحية « إن الباب العالى - أى حكومة تركيا - يقلق بالنا بالإلحاح » ، فأجاب الباشا اللبق من فوره Il lui faut la graisse وترجمته اللفظية إن المفصلات المعدنية بحاجة الى الشحم فيذهب الصدأ الذى يحدث الصرير ٠ وترجمته الاصطلاحية «لابد له من بلاد اليونان La Grece فيكف عن ازعاجكم ! »٠

وقد استعملت فى هذه النكتة كلمات موفقة وهى Porte ومعناها الباب العادى وتطلق على حكومة الباب العالى ، ولفظة graisse ومعناها الشحم الذى يستعمل فى جلاء صدأ المعادن ، ومعنى la Gréce بلاد اليونان ، وكان وزير الخارجية يتكلم ببساطة ولاتدل جملته على شيىء من الحذق أو التنكيت ، ولكن حضور بديهة السفير التركى أخرج الكلام عن معانيه الأصلية وأكسبه تلك المعانى البعيدة المنال على سواه ٠

النكتة عند العرب :

أما العرب فلعلهم كانوا فى أول عهدهم لم يعرفوا النكتة بالمعنى الذى نقصده هنا ، لأن معرفتها والتلذذ بها والنبوغ فيها تتطلب المدنية بجميع مظاهرها من رفاهية وترف وخلاعة بل بعض

الخنوثة أيضاً . ولكن العرب كانوا يعرفون المزاح وهو الذى أطلقنا عليه لفظ Joke ويسميه الفرنسيون blagne فيقولون pas de blagne أى « بلاش هذار يا شيخ » .

ويروون أن النبى (ﷺ) كان يمزح ولا يقول إلا حقاً (لأن قول الكذب فى المزاح مباح) وضربوا لذلك أمثالاً منها أنه رأى صياداً يتحدث إلى امرأة فى زقاق بمعزل من الناس فقال له « ياصياد حاذر أن تصاد ! » ، ومنها أن سألته عجوز درديبس : هل أدخل الجنة يارسول الله ؟ فقال : لا . فبكت العجوز فابتسم (ﷺ) وقال لها : ستدخلين ولكن بعد أن يعود إليك الشباب ، ألا تعلمين أنه لا تدخل الجنة عجوز !؟

ومن نكات العرب وهى أدخل فى باب حضور البديهة والجواب المسكت ، قول معاوية للحسين وقد دعاه للغداء وتقدمت على المائدة دجاجة ، فأخذ الحسين يقطعها كما يجب أن يقطع الدجاج ، فقال معاوية : أبينك وبينها ثأر ؟ قال الحسين : أكانت بينك وبينها قرابة؟ (نقلا عن كتاب التاج للجاحظ باب مؤاكلة الملوك).

كذلك حديث القبعثرى المقبوض عليه والحجاج ومادار بينهما من الحوار المشهور ومنه :

الحجاج : الآن وقعت فى قبضة يدى لأحملنك على الأدهم ؟

القبعثرى : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب .

الحجاج : قصدت الحديد !

القبعثرى : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً !

والأدهم القيد الحديد والأدهم الجواد الأسود ، والأشهب الجواد الأبيض والحديد السريع الجرى والبليد عكسه .

فالحجاج يتوعده بالقيد وهو يصرف كلامه الى أنه يعده بركوب جواد أدهم سريع الجرى !.

فأطلق الحجاج سراح ذلك الرجل الذكى وأحسن إليه لأنه ينفع الدولة .

النكتة المصرية وأنواعها :

والآن بلغنا لباب الموضوع من حيث اللغة العربية والنكتة المصرية ، وغايتى أن أبحث مبحثاً ابتدائيا لم يطرقه أحد من قبل.

فأقول إن أنواع النكتة المصرية متعددة :

(١) النكتة الشائعة عند العوام من نوع معين وتسمى «القافية» ، ولها حفاظ ورواة وكتب مطبوعة ، فيقال « قافية الساعة» و «قافية السكة الحديد» و«قافية الطعام» . وتقع النكتة بين شخصين وتسمى المحاورة بينهما « دخول قافية كذا » ، أى تناول الألفاظ والمعانى التى لها علاقة بموضوع القافية ، فيحشران بين الخطاب والجواب عبارة « إشمعنى » أى « هات المعنى الذى تقصد إليه ». وهذا النوع هو أدنى الأنواع ونطلق عليه وصف التنكيت الشعبى.

(٢) النوادر التى تروى على ألسنة أشخاص معينين أو طوائف من الناس ، كنوادر جحا (التى نقلت إلى الفرنسوية نثراً مرتين ، وشعراً بقلم الأمير حيدر فاضل مرة واحدة) . والنوادر المنسوبة إلى أبى نواس ، وكذا ما ينسب إلى المغاربة والشوام والصعايدة ... إلى آخره .

(٣) ما ينسب إلى بعض الأحياء من المشهورين كقولهم عن فلان المقاول إنه اذا بنى بيتاً ذا طبقتين لايصعد إلى الدور الثانى (خوفاً على حياته) ، وهذا النوع اسمه «قفش » ومعناه وضع اليد على النقطة الحساسة فى خلق الشخص أو آدابه أو عمله ، وهو تنكيت فى الدرجة الثانية .

(٤) التنكيت المصرى بمعنى « الهيومر » الوطنى ، وهو يتناول نوعاً من الكلام لايوجد فى لغة أخرى كقولهم (إن الديك «الرومى» لايحاكم سارقه أمام المحاكم الأهلية لأنه « حماية » ، وقد دون محضر سرقته فى «فرخ» ورق ، والمتهم ليس مجرماً وإنما هو من الأعيان الذين يجلسون فى كافيه «ريش» ، أما الشاهد فلان فهو الذى يعقل أن يسرق لأنه من نزلاء فندق «كتكوت» ..).

وهذه مرافعة فكاهية فاه بها الأستاذ محمد خالد باشات[1].

(١) محمد خالد باشات كان محامياً وقاضياً مصرياً ، وكان منكتاً بارعاً لا يقل عن البابلى فى حذقه النكتة الذكية البارعة (انظر ترجمة له فى كتاب لطفى جمعه «قطرة من مداد لأعلام المتعاصرين والأنداد ، تراجم مصرية وأجنبية » ، ص ٢٨٦ -٢٨٩ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨).

ومما يؤسف له أن التنكيت المصرى لم يدرس الدراسة التى يستحقها مع أنه من ألطف وأبلغ ما أخرجته القرائح الإنسانية ، لأن اللغة العربية المحكية من أغنى اللغات فى وسائل التنكيت حتى قال فى وصفها القاضى ويلمور فى كتابه الذى كان يحاول إغراء المصريين به على اتخاذها لغة للكتابة ص ١٦٩ « إنها من أغنى اللغات فى البدائع اللفظية » .

والمصرى بطبعه ميّال للنكتة ، لأن مجالس المصريين طويلة مملة لولا تبادل التسلية بتقليب الألفاظ والمعانى على سائر الوجوه كمن يلعبون الشطرنج وينقلون الأحجار وفى كل نقله يصيبون مقتلاً للعدو أو يجلبون على أنفسهم خذلانا ، فيبقى المجلس عبارة عن حلقة مبارزة كلامية سلاحها الذكاء .

المجلات والصحف الفكاهية :

وقد امتازت الأمم الأوربية والأمريكية بمجلات وجرائد تقيد النكات مثل Rire,Sourire بفرنسا Punch, Smart Set فى إنجلترا و Simpliesmns فى ألمانيا ، و « بياياغاليو» بايطاليا وغيرها عشرات ، ولبعضها مذاهب سياسية وأثر فى المجالس العامة وقوة فعالة فى الحركة الفكرية .

أما فى مصر فقد كان لنا بعض الصحف والمجلات من هذا القبيل ، نذكر منها «الأستاذ» لعبد الله النديم وقد زالت قبل نفيه

ووفاته، و«الأرغول» للمرحوم الشيخ النجار ولم تعش إلا بضعة أعوام وكانت مشحونة بأزجاله العجيبة ، و«حمارة منيتى » لمحمد توفيق وقد ماتت قبل موت صاحبها ، و«اللجام والبردعة » و«الأرنب» وهى صحف تقليدية للحمارة ولم تعمر طويلاً وكانت مظهراً للذكاء المصرى الشعبى ، و«الخلاعة» و«السيف» و«المسامير» وكانت فى بداية عهدها مرذولة ثم صلحت أخراها وعاشت الى أن حلت محلها مجلة أخرى «أبو شادوف » للمرحوم محمد شرف الذى مات من جرائر جريدته .

من أصحاب النكتة فى مصر :

أما الأشخاص أرباب النكتة فيظهر لنا من استقراء الحوادث أن كثيرين من رجال الطبقة الراقية فى مصر كانوا ولايزالون يتقنون نكتة المجالس ، ومن أشهر المتوفين بل أشهرهم وأقدرهم المرحوم محمد البابلى بك وقد أدركناه وحضرنا مجالسه ، وكان أصلاً ضابطا بالبوليس ثم اعتزل العمل وعاش على ريع عقاره إلى أن مات ، وكانت حياته موزعة بين مصر وحلوان ويروى عنه أصدقاؤه وغيرهم مئات النكات الطريفة التى يحار العقل فى تعليل صدورها عن إنسان عادى .

وعندى أن موهبة التنكيت يجب أن تدرس درساً وافياً ولما يقم أحد بهذا العمل الأدبى النافع .

وفيما يلى أنكر ثلاث نكات منسوبة للبابلى سمعت إحداها بنفسى ورويت لى الأخريان .

الأولى : كان يجلس فى حانة بحلوان على مقربة من المحطة وكان يغشى مجلسه رجل شرقى ثقيل وأظنه كان من يافا ، وكان المرحوم البابلى يخجل أن يطرده ويصعب عليه أن يترك المكان إكراماً لسوادعيون هذا « اليافانى » (نسبة صحيحة ليافا) ، فحدث ليلة أن غشى الرجل مجلس البابلى وأخذ يتطفل فى الحديث والشراب ، ولكنه كان يخاف على صحته العزيزة من تيار الهواء (مسهك كما صححه على راتب بك فى مقدمة الجزء الأول من الأغانى الذى يطبعه على نفقته) ، فهم بإقفال الباب الذى كان موارباً ، فدارت بينهما المحاورة الآتية :

البابلى : رايح على فين ياخواجا شاكر ؟

شاكر : بدى أقفل ها الباب ، خايف من البرد دخلك .

البابلى : طيب ياخويا سلامتك ، بس اقفله من بره

الثانية : عرض عليه صاحب الحانة التى كان يلعب فيها الورق ويحتسى صنفاً من الشراب وقال إنه جيد جداً « كويس خالص يا محمد بيه » .

البابلى : طيب بس يكون بزهر (لتعويض الخسارة).

والزهر : سائل عطرى معروف فأيهما يقصد ؟

الثالثة : دعى إلى حفلة زفاف لدى جماعة من أعيان بنى

إسرائيل ، وعند نهاية الحفلة تخلف بعضهم رجالاً ونساءً وكانوا من أصدقائه وأخذوا يتبادلون القبل للوداع ، وطال موقفه بأسفل الدار «والبوس داير » فرفع بصره إليهم وقال « ياجماعة ! بزيادة بأه إللى باس ينزل ؟!» .

وروى لى أحدهم عن صباه أن أباه أحضر له أستاذاً يعلمه الأدب ويجبره على حفظ الشعر الفلسفى القديم لا سيما نظم ابن سينا ، والبابلى يرفض ذلك وينكره والشيخ يلح وينذره ، فتصيد الصبى ضفدعة صغيرة وصعد الى مكان عال يطل على مكان الشيخ وقال له : سيدنا الشيخ ! سيدنا الشيخ . فلما نظر الشيخ إليه ، ألقى البابلى بالضفدعة برفق ، فوقعت تحت قدمى الشيخ فقال له : ما هذا يا ولد ؟

البابلى : « هبطت إليك من المحل الأرفع » !

وهو مطلع قصيدة ابن سينا فى « الروح » .

اختراع الكلمات المتقاطعة
سبق به العرب أهل أوروبا(*)

فى أواخر الربع الأول من القرن العشرين شاعت فى أوربا لعبة عقلية عجيبة هى لعبة الكلمات المتقاطعة ويسميها الإنجليز Cross Words وقد جعلوا منها أحاجى وألغازاً ومسابقات للهو وقطع الوقت فى الصحف والمجلات . وارتقى بها بعضهم أمثال تريستان برنان فى فرنسا بشكل يجعلها تنطوى على بعض الفوائد اللغوية والتاريخية ، ولاتكاد تخلو منها مدرسة ولا أسرة ولا نشرة دورية ، وقد أنفقت فى سبيل وضعها وحلها ملايين الجنيهات ، ونصح علماء النفس بتدريب التلاميذ على حلها ، وجعلها أرباب مصانع الأقمشة نماذج للنسيج .

ولسنا فى حاجة الى ضرب الأمثال من أحاجيها ، فكل مطلع فى مصر يعرفها ، كما أن بعض المجلات العربية كانت بدأت بنشرها ووضعها موضع المسابقات ولاتزال دائبة على ذلك ويود أن تقربها إلى الأذهان فى طورها الأخير ، حيث تظهر قراءة الكلمات

(*) مقال بعنوان «اختراع الكلمات المتقاطعة سبق به العرب أهل أوروبا بستة قرون وألف أحد علمائهم فيه كتاباً يشمل خمسة علوم : الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافى» ، نشر بجريدة البلاغ فى ١٩٣٠/٢/٢٤ .

والأحرف على جهتين ، فتأخذ لغزاً فى مجلة « فلامبو دى إيجييت» التى ينشرها فى القاهرة صديقنا الأديب الفاضل أحمد رشاد نقلاً عن عدد عيد الميلاد الأخير ، فإنك تجدها قد كتبت الكلمات والأحرف بتقسيم الأسطر والمربعات الصغيرة التى لا يمكن تخيلها بسهولة .

هذا ما فعله الإفرنج . وأقصى ما فيه أن أحدهم يضع اللغز ويشترك آلاف أو عشرات الألوف فى حله حلاً صحيحاً ، وغايتهم الأولى جلب القراء للمجلات والصحف التى تضع هذه الألغاز وتكافىء من يحلها ، وأخيراً جعلوا منه شبه رياضة عقلية وتزجية أوقات الفراغ [1] ووسيلة لتفتيح مواهب الشباب وتوسيع دائرة معارفهم ومداركهم فى التاريخ والأدب واللغة والجغرافيا وبعض العلوم .

ولكن إسماعيل بن أبى بكر الشاورى اليمنى واسمه شرف الدين المقرى الذى ولد سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤م) وتوفى سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) ألف كتاب «عنوان الشرف الوافى فى علوم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافى » على طريقة الكلمات المتقاطعة ، وقد طبع هذا الكتاب الفريد العجيب سنة ١٢٩٤ هـ على ذمة أحمد

---

(١) جاء فى كتاب « ماهو الفولكلور ؟ » لفوزى العنتيل أن من الموضوعات الرئيسية لمصطلح الفولكلور ، الألعاب الرياضية العقلية لإزجاء أوقات الفراغ (ص٩٠).

أفندى بيازيد رئيس مطبعة حلب الشهباء وصححه الحاج مصطفى أفندى الحلبى وساعد فى تصحيحه الشيخ محمد أفندى الزرقا(١).

وإليك مثالاً من هذا الكتاب نقلاً عن صفحة ٧٩ من النسخة التى بين أيدينا(٢).

ويظهر مما تقدم أن الشيخ الإمام العالم العلامة وحيد دهره وفريد عصره إسماعيل بن أبى بكر المقرى جمع فى كتابه خمسة علوم ، وقد استعمل فى تأليف ذلك الكتاب طريقة الكلمات المتقاطعة قبل أن تخطر ببال الأوربيين بستمائة أو سبعمائة سنة ، وأنه لم يستعملها فى لهو أو تسلية ، بل استعملها فى تدوين خمسة علوم من أهم علوم الدين واللغة والأدب ، والأعجب مما تقدم أنك تقرأ المتون الخمسة فلا تجد تكلفاً ولا تعقيداً ولا إبهاماً ، ولا تشعر أن المؤلف كان محكوماً بالألفاظ حكماً شديداً ، فلننظر الآن الى غايته من هذا الوضع العجيب .

طبعا أول ما يتبادر الى الذهن ، السؤال عن قوة الجلد وصرف الوقت الطويل والذكاء فى هذا السبيل ، مع أنه كان من السهل عليه

---

(١) أطلعنى على هذا الكتاب للمرة الأولى صديقى الدكتور أحمد ضيف أستاذ الآداب العربية بمدرسة المعلمين العليا وهو مطبوع على ورق ردىء جداً بالقطع الكبير وعدد صفحاته ١١٤ صفحة .

(٢) أورد المؤلف هذا المثال فى جدول واستطرد إلى حل وتفسير ماجاء به فإذا به كلام فى الفقه والنحو والعروض والقوافى والتاريخ .

أن يؤلف فى هذه العلوم رسائل مستقلة .

والجواب على ذلك أن الرجل أراد أولاً وقبل كل شىء إظهار مهارته وخبرته ، وله الحق فى ذلك ، فلا يضر ذلك بأحد ، ومعظم الأعمال العقلية تظهر مهارة صانعيها حتماً ، ثانياً أراد الاقتصاد فى الألفاظ ووقت النسخ وفى كمية الورق ، لأن معظم الكلمات تؤدى عملين ، وإذا علمت أنه لم يكن فى زمنه طبع ولا نشر ، رأيت قدر خدمته لمعاصريه ، وفضلاً عن هذا كله فإن الكتاب فى ذاته يعد تحفة طريفة تستهوى أفئدة العلماء والأدباء بما ورد فيها من النوادر، فإنك تبقى مدهوشا بسرور ولذة حيال العبارة الآتية نقلاً عن الجدول المشار إليه :

وكذا الوحف لا يدخل	ثم نزل الملك الأفضل زبيد ودخلها أول شهر رجب	إما ناسياً أو جاهلاً

فإنه فى عرض كلام فى أحكام الحلف والحنث فيه ، وهو أحد أبواب الفقه ، يضرب مثلاً بمن يحلف ألا يدخل بلداً ثم دخله إما ناسياً وإما جاهلاً وإما مكرهاً ، وكان قد وصل فى كتاب التاريخ إلى ذكر دخول الملك الأفضل مدينة زبيد (اسم المدينة التى توفى بها المؤلف) ، فلم يفته الاستشهاد بها فى المسألة الفقهية فجاءت

كلمتاه زبيد ودخلها » كما لو كتبتا بقلم القدر ، ثم إن قراءتها فى قوله « ثم نزل الملك الأفضل زبيد ودخلها أول شهر رجب » تذكرنى بطريقة الغناء التى ينتقل فيها المنشد من نغمة إلى نغمة مخالفة دون أن يشعر السامع حتى يستأذن على سمعه التغيير الكامل .

أدب الشعب والثقافة العامية
(فولكلور)(*)

—

ثروة دفينة وكنوز منسية وأهمية تدوين الأدب الشعبى :

يرى أدباء اللغة العربية فى مصر وفى الأقطار الشرقية أن الأدب هو وحده ما تبع خطط القدماء وسار وفق النهج الصحيح ، فاذا خرج فى شكله أو موضوعه عن القديم ، فلا يعد أدباً ولا فناً ولا شعراً .

فيالها من هفوة جنت على العقل والأدب والتاريخ !

وقد تراهم ينكرون الأخيلة والتشبيه والاستعارة والكناية إن لم تكن على نسق القديم ولايعترفون بحق أحد فى الابتكار . وقد تعمد هؤلاء أن يتناسوا أن للعامة أخيلة وعبارات وطرائق للتعبير عن أفكارهم وآلامهم وأفراحهم وقوالب خاصة بهم يفرغون فيها حكمتهم وتجاربهم ووسائل أدبية فنية صحيحة تدل على حياتهم وتصور مجتمعهم كما تصور أفكارهم الخاصة الدالة على المعانى الحافلة بالثقافة الخاصة .

ويصنع أنصار القديم ذلك ويتمادون فى خطأهم ظناً منهم

(*) مقال بهذا العنوان نشر بمجلة اللطائف المصورة فى ١٩٤١/٧/٢٨ .

أنهم يدافعون عن العربية الفصحى ويجنبونها ما يمسها أو يؤدى الى القضاء عليها وفيه إفقارها وإقفارها !!

هذا الموقف الجامد الجاف ذهب على مر السنين بالأدب القومى أو الأدب الشعبى ولهجات العامة وآثار عقول مفكريهم للإهمال فى تسجيلها ، والإعراض عن تدوينها أو الاعتناء بحصرها وجمعها وتنظيمها وتبويبها كما فعلت وتفعل الأمم الراقية .

وقد طغت رغبة العلم عند المستشرقين حتى شملوا آدابنا العامية بعنايتهم ، فتراهم يجمعون أمثالنا وأغانينا وقصصنا وأشعارنا وأزجالنا ولغاتنا الرمزية (السيم) ولهجات الطوائف وألغاز أهل الصناعات والمجرمين، فشرحوها وعلقوا عليها وجعلوا فيها قواميس ومعلمات (دوائر معارف) وقارنوا بينها وبين ما عندهم من نوعها واكتشفوا العجب العجاب فى كل باب حتى صار الباحثون منا عيالا عليهم .

وكان هذا الإهمال المقصود دالا على الجهالة وضيق العطن والانصراف عن دراسة علوم النفس والاجتماع والأخلاق العامية التى قد تنفع العالم والحاكم والأديب وتنفع الشعب نفسه ، فانصرف الناس ولا سيما الأدباء عن دراسة الأمثال العامية والقصص والعادات ، بينا وجههم مؤرخون فضلاء ، أمثال لين بول الإنجليزى وفان جيب الفلمنكي ونيتشوفورو الإيطالى ورايس السويسرى ، فلم يقبلوا توجيها ولم يعملوا برأى يؤدى الى فلاح .

وخفى عليهم وهم ينظرون ولا يبصرون ويقرأون ولايدركون أن أصول الاجتماع والأدب وعلم النفس العلمى والعملى وعلوم الفولكلور مأخوذة من التفكير العام للشعوب وفيه تصاوير اجتماعهم وخوافى تفكيرهم وخلاصة فلسفتهم وتجاريبهم وأحاديثهم فى السر والعلانية وعميق أمثالهم ، بتعبيرهم الصادق النقى البكر مما لا يوجد ولايمكن أن يوجد فى الأدب المصطنع والكلام الفصيح الموروث والمنقول المعيب بالتعمل والتصنع . وكان أكثر جهد المعاصرين أن يهجمواعلى اللغة العامية فيسلبوها محاسنها ومفاتنها، لا ليفسروها وينسبوها الى الأمة بل ليرجعوا بها الى اللغات الفصحى كالعربية القديمة والتركية والفارسية والمصرية العتيقة والكردية والعبرية ، ففعل هذا المرحومان حسن العدل أستاذ العربى فى برلين منذ خمسين عاما[1] وحفنى ناصف وسار على نهجهم الدكتور أحمد عيسى أطال الله حياته وأحمد تيمور باشا . ولكن علماء العربية القدامى أدركوا قيمة اللغة وأطالوا النظر فيهاوالبحث فى مراميها .فقال عمربن عبدالعزيز «عجبت لمن لاحن الناس كيف لايعرف جوامع الكلم ! » والملاحنة الكلام بالملاحن ، أى قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره . وهى بمثابة لفظ Argot الفرنسية .

(١) كتاب حسن توفيق العدل « أصول الكلمات العامية » ، طبع مطبعة الترقى بمصر، سنة ١٨٩٩ م – ١٣١٧هـ.

وروى لابن فارس عن أبى الأسود الدؤلى أن رجلا كلمة ببعض ما أنكره أبو الأسود (أى لم يعرفه) فسأله أبو الأسود عنه فقال هذه لغة لم تبلغك فقال له «يا ابن أخى إنه لاخير فيما لم يبلغنى ! » فعرف الرجل أن الذى تكلم به مختلق ، ودلالة هذه القصة أن هذا العالم العظيم عرف كل اللهجات واللغات وأسرار الكلام والألفاظ الخاص منها والعام . فأين علماونا من هذا البحر الخضم ؟

إن الأدب العامى العربى أو المصرى مملوء بالإشارات الذهنية ولعب الألفاظ والتهكم اللاذع الذى يجرح ولا يريق دما والنكات الطريفة والفكاهة الظريفة والنادرة الواردة على الخاطر عفو الساعة وحضور البديهة وثروة الخيال ودقة الوصف ، ومن هذا النوع قصة «فاطمة ذات الهمة » وقصة « أبى زيد الهلالى» ، وبعض قصص ألف ليلة المؤلفة فى مصر كقصة «معروف الإسكافى» ، و «القضاء والقدر» ودليلة المحتالة»، ومن أشهر الشعراء والكتاب فى هذا النوع المرحومون عبد الله النديم فى مجلة الأستاذ والشيخ محمد النجار فى مجلة الأرغول ومحمد توفيق فى « حمارة منيتى » وعثمان بك جلال فى رواياته التمثيلية كالشيخ متلوف ، وحسن الآلاتى فى «مضحك العبوس » (ثلاثة أجزاء) وأزجال الأدباء الأحياء حسين مظلوم ومصطفى الصباحى وبيرم التونسى وحسين شفيق ، والمتوفين إمام العبد وحفنى ناصف وخليل نظير ومحمد صدقى باشا وعزت صقر الخ .

رواد التأليف فى الأدب الشعبى :

وأول من ألف فى علم الفولكلور أو أدب الشعب المرحوم محمود عمر أستاذ اللغة العربية فى المدارس المصرية ومندوب مصر فى مؤتمر المستشرقين بستوكهلم سنة ١٨٩٢ فوضع كتاباً جليلا فى الأمثال المصرية العامية وآخر فى الأغانى والمواويل • وقلده الأستاذ نعوم شقير بك فى « أمثال العوام فى مصر والشام » ، وقبلهما بقليل الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى ألف كتاباً شهيراً جداً هو « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف» وفيه وصف أهل القرى وأخلاقهم وأدبهم وأمثالهم وفنونهم فى ٢٥٠ صفحة من القطع الوسط ، والكتاب مزيج من الشعر والنثر والنوادر والأمثال ونظم الحكم التركى وحياة الفلاحين ، وجعل هدفه الأول شرح قصيدة فائية هو ناظمها وشارحها ولكن اتخذ لنفسه اسم أبى شادوف منها :

يادوب عمرى فى الخـــراج وهمـــــه
تقضى ولا لى فى الحصاد سعيف
ويوم تجى العونة على الناس فى البلد
تخبينى فى الفـــرن أم وطيـــــف
ولا هدنى مـــــــن بعــد هاده وهاده
سوى الكشك لما يستحق غريـــف

متى أنضر الخبيز فى الدار عندنـا

وأندف منها بالعويش نديــــف

والمؤلف أديب عالم نو عقل نقاد وقريحة وقادة ، فهم روح عصره ، حاول الإصلاح عن طريق التهكم كما حاول تسجيل الأقوال والأفعال فى الريف فصحبه التوفيق وجعله بعض المستشرقين موضوع دراسة ، وقد وصف حياة الفلاحين فى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر بعد أن أتم دراسته فى الأزهر الشريف فوضع صورة جميلة صادقة عن حياة بلاده فيها بعض التجنى والمبالغة . ولكنه كان يقصد إلى التهكم للموعظة لا للإهانة لأنه يعترف بأصله الريفى ويذكر أهله وأقاربه وأصدقاءه بالخير ، وقد أسهبنا نوعاً فى وصف هذا الكتاب لأنه منعدم ، أما المراجع الأخرى فموجودة فى المكتبات العامة والخاصة .

الشيخ حسن الآلاتى وكتابه :

ابتدع الشيخ حسن الآلاتى الضرير فناً اسمه فن المفارقات وأسس «معهداً » أسماه « المضحك خانة العلية » كان يتردد عليه عبد الله باشا فكرى وأحمد باشا طلعت الكبير وأحمد باشا راشد وحسن بك الشمسى ، وكانت جلستهم تدور على المطارحات الأدبية والفكاهات الزجلية والنكات المستملحة ، وكان الشيخ حسن رئيس المضحكخانة يجيد هذه الفنون غاية الإجادة . زعموا أن أحد

الوزراء (النظار سابقا) أهدى اليه مركوبا (حذاء) يوم العيد فلما وصلت اليه الهدية قال «فى الأثر الشريف : يحشر المرء يوم القيامة تحت ظل صدقته !» وقدمت له زوجته للغداء خبزاً وجبناً وفاكهة فتذمر ، وسمع رجلين يتشاجران وأحدهما يشتم الآخر بقوله «ياراجل ياطبيخ ! » فأخذ الشيخ حسن رغيفه وخرج مسرعا وهو يقول : فين الراجل الطبيخ ده ؟

وعرف فن المفارقات فى الجزء الثالث من كتابه فقال : «لما كان فن المفارقات فنا يشار اليه بأطراف العصى ، ويتعظ به الفاضل والجاهل والخصى ، وقد اعتنى به كثير من المتقدمين والمتأخرين ، منهم الشيخ المهفوف ، والتيس المكلوف ، صاحب هز القحوف ، شارح قصيدة أبى شادوف ، وكثير من الأفاضل الفحول ، الذين لايدرون فى المعقول ولا فى المنقول ، وكان أوسعهم فى المجال وأكذبهم فى كل قيل وقال ، العالم العلامة ، الداير فى الدوامة ، الذى شهد بعقله كل من فى البيمارستان ، واعترف بأدبه نسمة واحدة من الرجال والنسوان ، مولانا وأستاذنا الشيخ حسن الآلاتى العنيد ، صاحب الفهم الجديد ، والطربوش الحديد ، والرأى القديد ، والجهل الشديد ، فألف كتابا شرع فى طبعه وحددنا له مواعيد ، لا نعلمها ! تحرر بالمضحكخانة فى تاريخ لايعرف الخ ».

ومن نظمه فى خطاب لصديق اسمه ثابت كريم بك وزوجته عين الحياة هانم :

يا ثابت العود يا كريم الجدود   يا عين حياة المجد والمكرمات
يابحر جود مالمنتهاه من حدود   لوحاسدك اضمرلك المكرمات

الزجل :

ومن الأدب الشعبى فن الزجل وهو الشعر العامي الحافل بأجمل المعانى وأرق الإشارات وأدق الأوزان ومن رجاله المرحومون عزت صقر وخليل نظير ومحمد غالب وقد وضع له مجموعة جميلة الأستاذان حسين مظلوم رياض ومصطفى محمد الصباحى (طبع القاهرة ١٩٣٦) بعد مضحك العبوس للألاتى بست وأربعين سنة وقد أبدعا فى حسن الاختيار وأهدياه الى خليل مطران بك بمقطوعة من نظم أولهما عن عجائب النظم الشعبى قال :

لما رأينا الشعـــوب	عامله لأدبها مراجع	وشعبنا له ضـــروب
موزعه فى مواضـــع	أبهى الأغاني زجل	فـــى حلــــــل
شكوى ووجد وغـزل	فـى مثــــــــل	نهضنا نجمع شتاتـه
تاريخ ملوك العجايب	نـوادر العبقريـــة	فيه أثريـاء المواهـب
ومعدميــن البريـــة	وفيه نواس والرشيد	نـوع جديــــــد
فيه شعر صاحبك لبيد	والوليـــــــــد	لكل جيـل مبدعاتـه

ومن الأمثال العامية المنظومة قطعة عنوانها : اسمع مثل !
وقد وضعنا كل مثل ضمنه الزجال بين قوسين :

اسمع مثل أجدادنا قالــوه « من غربل العالم نخلوه »
عايز تعيش فى الناس محبوب فى كل حال تلقاك مشكور
امسك لسانك كله ذنــوب كم للسان أخطار وشرور
«داللى يعيب الناس معيوب » وان كان قريب يصبح مهجور
«واللى يسب الناس سبوه » بالحق والباطل يرموه

اسمع مثل !

احذر تكون مغتاب قطاع دا الطعن من شر الأعمال
إياك تكون للخير مناع حرام عليك والعاقبة وبال
دى كل عين وقصادها صباع «وكل فوله ولها كيال»
من يهدم العالم هدموه من يخدم العالم خدموه

وفى رأينا أن القطعة الأولى تدل على رقة فى النظم وقدرة فائقة فى حسن التصرف بالأوزان والبحور مع براعة الاستشهاد .
أما الثانية فقد جمعت بين فنين من الأدب الشعبى هما الزجل وضرب المثل بنصه .

ابن عروس :

ومن أعجب القطع الأدبية فى الفن الشعبى اعتراف شاعر اسمه ابن عروس عاش حوالى سنة ١٨٧٠ وكان لصاً يقطع الطريق ويسطو على الآمنين . ولد فى إحدى قرى الصعيد السحيقة ونشأ متعطلا مهملا وكان متين الأوصال غليظ السواعد قوى البنية ،

مهول الخلقة فصار زعيما لأخطرعصابات اللصوص وشيخ «منسر» بلغت حياته فى الإجرام ثلاثين سنة وفى العقد السادس من عمره بشمت نفسه لطول عصيانه ، فبدأ الروع يداخله من لقاء ربه فأقلع عن الغواية وأناب ، وبدأ بتوزيع ثروته على الفقراء وهام على وجهه فى البلاد مجنوبا عابداً وعاش هكذا عشرين سنة . وقد سجل كتاب الأدب الشعبى (ص٨٥) نبذة من اعترافه بالزجل قال (وهذه تعد وثيقة إنسانية):

حرامى وعاصى وكداب	عاجز هزيل المطايا
وتبت ورجفت للباب	هيا جزيـــل العطايـا
مايرقد الليل مغبون	ولا يقرب النار دافى
ولايطعمك شهد مكنون	إلا الصديق الموافـــى
دنياك هذى غـــروره	كيف لاعبات الخيال [1]
ياما فنت من قصــــوره	ورجال كانوا موالــى

وفى كلام هذا الشاعر التائب بعد الإجرام كثير من الملاحن.

الملاحن أو اللغة السرية :

والملاحن أو إلغاز الكلام أو اللغات السرية ليست لغة المجرمين وحدهم وهى تعرف عند الإفرنج بلفظ argot (أرغوت) ولها قانون

---

(١) يقصد خيال الظل أو تكهن بالسينما.

اجتماعى ونفسانى ولغوى ، فكل جماعة تتألف من شخصين فأكثر وتشعر بالاحتياج للدفاع عن نفسها حيال البيئة التى تعيش فيها تخترع أرغوتا أو « سيما » أو لغة رمزية سرية أو لحنا .(من لفظ الملاحن لا من لفظ ألحان) تخفى بواسطتها أفكارها عن غيرها . فاللحن أو اللغة السرية للمشافهة كالشفرة للكتابة ، هذه القاعدة الأولى هى قانون الوجود للغات الرمزية أو سبب اختراعها ، والقاعدة الثانية أنه كلما اشتدت ضرورة الدفاع وحمى وطيس الموقعة بين الفريقين وهما الجماعة المخصوصة وبين البيئة التى تعيش فيها ، اتسع نطاق الأرغوت أو اللغة الرمزية الخاصة بها، وهذه القاعدة هى قانون نمو اللغات الرمزية وسبب تقويتها ونموها، ودل الاختبار على أن الاحتراف بالحرف المختلفة يؤدى الى التكلم بلغات مختلفة لأن ضرورات العمل والوسط الخاص تؤدى الى ضرورة خلع معان جديدة على بعض الألفاظ المتداولة بين الناس .

وكل من قرأ كتاب البخلاء للجاحظ يذكر أنه أشار فى مقدمته الى كتاب آخر من مؤلفاته اسمه « كتاب السراقين » ذكر فيه أنه سرد أسرار اللصوص والمجرمين ولغاتهم التى يتخاطبون بها من الطوائف وهذا الكتاب (كتاب السراقين) منعدم ولم ير أحد من الأدباء الأحياء نسخة مخطوطة منه إلا الأستاذ محمود محمد شاكر شهدها فى الحجاز وساوم عليها بخمسين جنيها واشتراها أحد أدباء الهنود بأضعاف ذلك وأخذ هذه الذخيرة الى كلكتا ولعله لا

يطبعها أبداً ،ونحن الذين نتحرق على كتاب السراقين للجاحظ الذى مضى عليه ألف ومائة سنة نجد بين ظهرانينا هذه اللغات مستوفاة كاملة فى أسواقنا وشوارعنا ومقاهينا وفى دور الحكم والشرطة وعلى أفواه العامة ولا نعني بها وهى كأعضاء الكائن الحى أو كالسمكة التى نراها تسبح فى الماء فنتركها ونطعم أسماكا ضئيلة مجففة ومحفوظة فى العلب !!

فمن لم يسمع فى شارع الصاغة قولهم «الدفش اللى فى شلك أشفور أو يافث؟».

اسمع الى قول العلامة المناوي شارح القاموس وهو أول عالم بعد الجاحظ توغل فى إدراك فوائد اللغة ورد اليها اعتبارها فى إحدى وظائفها الحيوية وهى تمكين الإنسان من التعبير عن المرئيات من نوعه وأنواع المخلوقات بأساليب شتى وأن تكون ستاراً يخفى المتكلم وراءه أفكاره الحقيقية عمن لايريد اطلاعه عليها قال المناوى : من منافع فن اللغة التوسع فى المخاطبات والتمكن من الكتابة بانظم والنثر والأحاجى (ألغاز) ومن عجائبه (كذا) التصرف فى تسمية الشىء الواحد بأسماء مختلفة لاختلاف الأحوال كتسمية الصغير من بنى آدم ولداً وطفلا ومن الخيل فلواً ومهراً ومن الإبل حواراً وفصيلا ، وتقول نبح الكلب وصاح الديك وهمهم الأسد وهيثم الريح ، وطعنه بالرمح وضربه بالسيف ورماه بالسهم ووكزه باليد وبالعصى . فاذا أردت أن تخفى الخمر قلت كأس الطلى وبنت

الحان وبنت الكروم والصفراء والشقراء والداء الشافى وعبرت عن المحبوب بالغزال وبالهاجر .

ولكن اذا انتقلت الى العصر الحديث رأيت الآن فى مصر فى اللغة الرمزية اللصوص يطلقون الكونيش على اللص الماهر والدراجة على الحذاء المسروق والكموخة على الطربوش و « لفاف » على السترة والصدرية وتخويمة على الجلباب وبرغل على الرجل فيقول أحدهم لزميله « البرغل ده ما أمروش حوه » يقصد أن هذا الرجل لا مال معه فلا تتعب فى اقتفائه ، أما أبو السكران فالعريس ليلة الزفاف و« العضوان » اللحم ، وما أمركش تفتافة أى هل لديك لفيفة طباق (سيجارة) وهكذا .

ولكل طائفة من التجار والصناع وأرباب المهن النازلة قاموس من الملاحن يتفاهمون بمفرداته ، وأهم طائفة تنتفع باللحن أو اللغة الرمزية هى طائفة المجرمين فلديهم ألفاظ للدلالة على رجال الشرطة وأنواع السرقة والمسروقات ذاتها وأنواع المجرمين وليس هذا مجال الإفاضة فيها [١] وليسوا منفردين بذلك وإنما لأقرانهم فى أوربا لغات رمزية مكتوبة ومحكية ، وقد ألم بذلك أربعة من العلماء الأعلام نذكر كتبهم بلغاتهم ليستفيد بها الطالبون .

---

(١) راجع فى هذا الكتاب المبحث المعقود فى « الملاحن واللغات السرية » وكذا القاموس الملحق به .

(١) الأستاذ رايس أستاذ البوليس العلمى بلوزان فى كتابه La Police Seientifique.

(٢) الأستاذ هانس جروس أستاذ هذا الفن فى جامعة جراتز بالنمسا L'Instrucion Criminelle.

(٣) نيتشفورو أستاذ هذا الفن بكلية بالرمو عاصمة جزيرة صقلية فى كتابه Manuel de Police Seientifique.

(٤) نيتشفورو نفسه بالفرنسية L'Esprit de L'argot

الملاحن أو اللغات السرية(*)

الاختلاف فى إحساس الجماعات يتبعه اختلاف فى كلامهم :

إن الكلام أو الوظيفة التى يؤديها اللسان هو أهم واسطة بين الفرد وغيره من بنى جنسه، وقد خصّصته بالأهمية وكبر الشأن لوجود وسائط أخرى للتفاهم بين الأفراد والجماعات ، منها الإشارات والإيماء بصنوفها والكتابة بجميع أنواعها .

ومن عجيب شأن الكلام أنه أكثر وسائط التفاهم والتعارف شيوعاً وأدقها تعبيراً وأعظمها أثراً وأسرعها زوالاً .

والفرق فى الإحساس يتبعه الفرق فى الكلام ، وقد ثبت ذلك علمياً بفضل علم النفس التجريبى ، وعلى ذلك يمكن تقسيم الناس إلى أقسام متقاربة فى الإحساس ولكن ليست متماثلة أو متشابهة فى الجثمان ، وصدق من قال إنه لايوجد فى الغابة ورقتا شجرة متشابهتان تمام التشابه ولو فى غصن واحد . وفى اللغة العربية

(*) محاضرة ألقاها المؤلف فى نادى الشبان المسيحيين بالقاهرة فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ وتقدم بهافى ٤ مارس سنة ١٩٢٥ إلى المؤتمر الجغرافى الدولى بالجمعية الجغرافية الدولية Union Géographique International, فرد عليه أدولف قطاوى سكرتير عام النادى برسالة – مؤرخة ١٩٢٥/٣/٢١ بوصول المحاضرة وإدراجها ضمن أبحاث المؤتمر (ر.ل.ج).

أمثال تثبت ذلك كقولهم « شبيه الشيء منجذب إليه » ، وفى اللغات الأجنبية أمثال بهذا المعنى ، ففى الإنجليزية «الطيور ذات الريش المتماثل تطير معاً » . وفى الفرنسوية «المتشابهون يجتمعون» ، وفى اللغة العامية العربية « فيه فى السما طير اسمه يجمع الأشكال على بعضها » .

من ذلك نرى أن هذه التجمعات تكون متقاربة بطبيعتها متآلفة بدون شعور أو تكلف منها ، فكل من المتقاربين يسعى إلى الآخر وينجذب إليه ، وأفراد هذه الجماعات المتقاربة أفرادها تعيش معاً فى وسط الهيئة الاجتماعية وإن كانت تختلف عن بعضها فطرة وطبعاً وروحاً وعقلاً ، ولاشك فى أن هذه الخلافات تؤثر فى اللغات التى يتخاطبون بها ، ومن هنا فإن الجماعات المتآلفة والفئات المتحدة من أرباب الصناعات وطوائف العاطلين وأهل البطالة والمجرمين كالسراق والمحتالين وذوى العاهات المعنوية ومرضى العقول والنفوس وغيرهم ، كل منهم يتكلمون لغات يختلف بعضها عن بعض ويتفاهمون بها ويخفون بواسطتها أفكارهم عن غيرهم ، وهو ما يعرف بالملاحن أو اللغات السرية أو الرمزية .

ويخطىء من يظن أن اللحن أو الأرغوت "Argot" هو لغة المجرمين دون سواهم ، كذلك يخطىء من يظن أن لكل الطوائف

وجميع الصنائع لغات رمزية ، فاللحن لغة خاصة ببعض الجماعات والطوائف .

والبحثِ الذى ألقيه عليكم ليس بحثاً لغوياً ولا بحثاً نفسانياً إنما هو بحث اجتماعى يمت بأوثق صلة الى الفولكلور ، وغايتى منه الوقوف على الأسباب التى تدعو الجماعات الى اختراع هذه اللغات الخاصة .

قاعدة نشأة اللحن وقاعدة نموه :

وقد وضع العلامة نيتشفورو "Niceforo" سنة ١٨٩٧ قاعدتين أساسيتين للغات الرمزية ، الأولى أن كل جماعة تتألف من اثنين فأكثر وتشعر بالاحتياج للدفاع عن نفسها ضد الوسط الذى تعيش فيه ، تخترع أرغوتاً أو لحناً تخفى بواسطته أفكارها عن غير أعضائها . هذه القاعدة هى قانون الوجود أو المنشأ للغات الرمزية أو سبب اختراعها .

والقاعدة الثانية هى أنه كلما اشتدت ضراوة الدفاع واشتد الصراع وحميت نار الجهاد بين الطائفة المخصوصة وبين الوسط الذى تعيش فيه ، كلما اتسع نطاق اللغة الرمزية . هذه القاعدة هى قانون نمو اللغات الرمزية أو سبب تقويتها .

تعريف اللحن :

ينتج عن هذا ، التعريف الآتى وهو أن اللغة الرمزية أو اللحن عند العرب [1] أو الأرغوت argot عند الفرنسويين أو السلانج Slang عند الإنجليز أو إلجرجو IL gergo عند الطليان أو السيم عند المصريين المعاصرين هو سلاح يستعمل فى حياة الجماعات للدفاع عنها ضد الوسط المعادى أو المخالف لها ، وهذا السلاح هو عبارة عن لغة خاصة تولد وتحيا وتبقى وتنمو مكتومة عن كل الناس المخالفين للجماعة التى تتفاهم بها .

التفرقة بين اللحن واللغة الخاصة :

والأرغوت أو اللحن لغة خاصة ولكن ليست كل لغة خاصة لحناً، فينبغى البحث والتمييز بين اللغة الخاصة واللحن أو الأرغوت.

قلنا إن اختلاف الإحساس يؤدى إلى الاختلاف فى الكلام ، وإن مايدهش الشخص الذى يراقب مجموعة من الناس هو شدة اختلافهم ، قال ڤولتير منذ سنة ١٧٣٤ فى كتابه « الميتافيزيقا » إن

---

(١) يقال لحن فلان لفلان لحناً قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره ، ولحن إليه نواه وقصده ومال إليه ولحن قوله فهمه ، ولحن الرجل لحناً فطن لحجته وانتبه ، ولحن قوله لحناً فهمه ولاحنهم ملاحنة فاطنهم . قال سبحانه وتعالى « ولتعرفنهم فى لحن القول » وقال عمر بن عبد العزيز« عجبت لمن لاحن الناس كيف لايعرف جوامع الكلم».

الناس تمتاز باختلاف بعضها عن بعض .

وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أنه لايوجد شخصان متشابهان جثمانيا تمام التشابه ، كذلك أثبتت التجارب الخاصة استحالة تمام الشبه بين شخصين فى العواطف والانفعالات وقوة المقاومة والشجاعة والسرور الى غير ذلك من المظاهر النفسانية ، ويترتب على ذلك أن الاختلاف النفسانى ناشىء عن الاختلاف المادى أو الجثمانى ، فكل من يخالف الآخر فى الطول والقصر والصحة والمرض يخالفه أيضاً فى الإحساس والانفعال .. الخ .

الأشخاص المتقاربون فى الأخلاق والعادات والميول :

ومع شدة الاختلافين المادى والمعنوى الثابتة علمياً يوجد فى مجموع البشر أشخاص متقاربون فى الأخلاق والعادات والميول والتقاليد، يجتمع بعضهم ببعض تصديقاً للمبدأ القائل بأن شبيه الشىء منجذب اليه ، فتتكون بهذه الطريقة جماعات وطوائف فى وسط الهيئة الاجتماعية، وهذه الهيئة بقدر ما تتجانب أفرادها نحو بعضهم ، بقدر ما تبتعد هى عن الجماعات الأخرى القائمة على صفات مخالفة لصفاتها .

وكل جماعة متشابهة تشعر بعاطفة عداء للجماعات الأخرى وترغب فى الاحتماء من شرها وبغضائها .

ولما كان الكلام هو الواسطة الوحيدة لكشف أسرارها ، فهى تتخلى عن الكلام العادى المعروف وتخترع كلاماً أو لغة خاصة أو لحناً أو أرغوتاً تتفاهم به فيما بينها ، يكون مفهوماً لدى أفرادها دون سواهم وغامضاً على غيرهم من الأفراد أو الجماعات .

اللغة الخاصة والاصطلاحات الفنية :

وقد دل الاختبار أيضاً على أن الاحتراف بحرف مختلفة يؤدى إلى التكلم بلغات مختلفة ، لأن ضرورات العمل والوسط الخاص بالعامل والأحوال الخاصة المحيطة به تجعل ضرورة لإعطاء معانى جديدة لبعض الألفاظ .

فلا نزاع فى أن وسط طلاب الطب يخالف باحتياجاته وأفكاره وأعماله وسط عمال السكة الحديد مثلاً ، ووسط النشالين يخالف وسط عمال الترام أو سعاة البريد وهكذا .

خذ مثلاً كلمة « عملية » فإن معناها معروف فى عرف الطبيب، ولكن لها معنى آخر عند طلاب مدرسة الهندسة ، وفى وسط اللصوص يقصد بها قتل أو سرقة ولكنها تحرفت قليلاً وصارت «عملة» فيقال «فلان عمل عملته» ، ويقول رجل المعمار « البيت يحتاج عملية » يعنى عمارة ترميم وهكذا .

كذلك فإن المستخدم أو الموظف يتقاضى ماهية أو مرتباً ، فإذا بلغ سن التقاعد يتقاضى «معاشاً » ، والمحامى يتقاضى أتعاباً

والطبيب يتناول عيادة فيقال عيادته كذا ، والوسيط يتقاضى سمسرة .'البائع لحساب الغير يتقاضى عمولة ، والعامل يتقاضى يومية والضابط فى الجيش المصرى قديماً كان يتقاضى جامكية . هذه كلها كلمات متعددة لمعنى واحد بحيث أصبح من السهل على الإنسان أن يدرك أنه يجوز أن يكون للشيىء الواحد عدة أسماء وكل اسم يعطى عنه فكرة خاصة ، فيستطيع كل إنسان أن يستعمل الكلمة التي يريدها للدلالة على الشيىء الذى يريده .

واذا حدث معنى جديد أو أمر جديد فالجماعة تقوم بخلق كلمة جديدة إما بتحوير معنى كلمة مستعملة أو باستخراج كلمة قديمة ذات معنى سيىء وإعطائها معنى جميلاً ، أو بخلق أو نحت كلمة بحذافيرها .

وخلاصة ماتقدم أن الاختلاف فى الإحساس يؤدى للاختلاف فى الكلام ، والاختلاف فى العمل أو الصنعة أو المهنة أو الحرفة يؤدى أيضاً للاختلاف فى الكلام .

نعطى مثالاً للكلام الناشىء عن الاختلاف فى الإحساس ، فإن للأطفال لغة خاصة ، وللمجانين لغة خاصة ناشئة عن الاختلاط الفكرى وقد سماها بعضهم « سلاطة كلام » Salade de paroles، كما أن لبعض الكتاب والشعراء أسلوباً خاصاً ناشئاً عن حالتهم النفسية . وعلى هذه الطريقة يوجد فى فرنسا شعراء على رأسهم پول ڤيرلين وصديقه الحميم أرتور ريمبو فى كتابه المسمى

«موسم فى الجحيم» . وبين كتاب هذا الزمان الذين يكتبون بأسلوب مماثل المرحومون الشربتلى وإمام العبد وفرج العبد .

ويلاحظ هنا أن الأطفال والمرضى العقليين لا يقصدون إخفاء أفكارهم عَن غيرهم إلا فى بعض الأحوال الاستثنائية ، ولكن الكتاب والشعراء ، وخاصة فى المدرستين الفرنسويتين المعروفتين باسم الانحلالية "Decadents" والرمزية "Symboliste" كانوا يحاولون أن يخفوا حقيقة أفكارهم عن الأشخاص غير الداخلين فى زمرتهم ، والدليل على ذلك مؤلفاتهم مثل أزهار الشر تأليف شارل بودلير والإشراقات وموسم فى الجحيم تأليف ريمبو ومعظم شعر پول ڤيرلين ، وقد قرر أحدهم صراحة أنه لا ينبغى أن يفهم مؤلفاتهم إلا الذين يدركون أسرارهم .

والخلاصة أن تلك المدارس الأدبية التى نهضت فى أواخر القرن التاسع عشر كانت تؤلف جماعات مستقلة بأفكارها وإحساساتها وعواطفها وانفعالاتها .

التعابير والاصطلاحات الفنية :

كذلك فإن الاختلاف فى العمل يؤدى للاختلاف فى الكلام على ما قدمنا ، فإن اللغة العادية مهما كانت غنية تقصر عن التعبير عن كل احتياجات ومعانى وأدوات العمل فى الوقت الحاضر ، فاخترع أهل الحرف ألفاظاً هى المسماة بالتعابير أو الاصطلاحات الفنية

غايتها التعبير باختصار عن بعض دقائق هذه الحرف وليست غايتها إخفاء أفكار أصحابها عن السامعين ، فإننا إذا أردنا أن نتعلم ضرب النبوت مثلاً وهى لعبة شعبية معروفة فى صعيد مصر ، فإن المعلم يلقى علينا تعبيرات كثيرة تخفى على من لا يعرف اللعبة مثل قوله « اشقل » و «حود » و « لاحق » و « نام له» و« وطّيلها » ... الخ .

وقد تعرفت أثناء إقامتى فى ليون على لغة خاصة بين صناع الحرير الذين يسكنون فى أحد أحيائها ، وقد وضع لها القس ڤاشيه قاموساً وظن أن هذه الألفاظ لغة رمزية ، والحقيقة أنها كلمات فنية غايتها تفهيم العمل للمبتدئين والمحادثة بين أصحاب الحرفة الواحدة باختصار مثل مايقول النجار فى مصر « خابور » أو « كوع » .

كذلك المقامرون لهم ألفاظ اصطلاحية ليست غايتها التعمية ولكن التفاهم السريع بينهم بألفاظ معروفة من الطرفين ، وهذا لاينافى وجود لغة رمزية أو لحن لهؤلاء المقامرين الغاية منها إخفاء الفكر عن الآخرين.

كذلك فإن الحوادث الكبار كالحروب والثورات تحتاج لألفاظ جديدة فتوجد وتبقى حية ، وقد ألم بهذا الموضوع مؤلف صبح الأعشى ، فقد أفرد لكل دولة ولكل حادثة من حوادث التاريخ الكلمات والعبارات التى كانت تستعمل فيها . وقد تركت الثورة

الفرنسوية ألفاظاً لاتحصى فى اللغة الفرنسوية ، والحرب العالمية الحاضرة (١٩١٤ - ١٩١٨) . سوف تترك فى أذهان الناس عدة تعبيرات لن تزول وتدخل فى صلب اللغات الأوروبية وغيرها .

كذلك الألعاب الرياضية الإنجليزية تركت فى ممالك العالم أسماءها « كالتنس » و «الفوت بول » و « الهوكى » ... الخ . والمؤكد أن اللغة الخاصة ليست لحناً ولكن يمكن أن تؤدى إحدى وظائف اللحن وهو حماية الفئة التى تتكلمها أو تستعملها ، خذ مثلاً لذلك أسماء الأمراض عند الأطباء باللغة اللاتينية وأسماء الأدوية عند الصيادلة والتعبيرات القانونية عند المشتغلين بالقانون من رجال القضاء والمحاماة.

هذه اللغة الخاصة تبقى خاصة إلا اذا استعملت وسيلة للتفاهم السرى بين أبناء الحرفة الواحدة .

اللغة السوقية والألفاظ الحوشية :

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهناك لغات سوقية وألفاظ حوشية تستعملها الطبقات النازلة ولاتفهمها الطبقات الأعلى منها ، والأسباب الجوهرية التى تدعو لتكوين هذه اللغات هى أن جميع أنواع الفوارق طبيعية أو غير طبيعية الموجودة بين الجماعات ، تؤدى لإيجاد عداوة طبيعية بينها ، ومن هذه الفروق تنشأ المعارضة والصراع . فهناك فروق ظاهرة جداً بين أهل الطبقات النازلة

والطبقات الراقية أو العالية، لأن طرق الإحساس والتفكير والعمل فى كل طبقة مخالفة لها فى الطبقة الأخري ، وينتج عن هذا أن المعارضة والصراع بين هذه الجماعات أمر محتم وأنه ينبغى أن يكون للطبقات النازلة لغات تعبِّر بها عن إحساسها وفكرها وعملها لتقوم بوظيفة حماية أصحابها الذين يتكلمون بها . وقد أثبت ذلك علماء كثيرون أمثال لومبروزو وڤيرى وجاروفالو وڤان جانيت ونيتشفورو.

وهذه اللغة السوقية أو الواطية هى اللغة الشائعة فى باريس بين الطبقات النازلة من الشعب .

طريقة إنشاء اللغات السوقية :

وطريقة إنشاء وتكوين هذه اللغة هى جعل الأفكار مادية صرفة، فالشعب ينقل الأفكار من الحالة المعنوية المعقولة الى العالم الحسى المادى ، أى عالم الإنسان والحيوان والنبات . ومن هنا لاتخلو اللغة السوقية من التلميحات الخادشة للآداب التى نضرب عنها صفحاً ، فأهل روما من الطبقة النازلة يعبرون بأشنع العبارات عن أبسط وأطهر الأفكار وأقل منهم فى ذلك أهل باريس .

ونخلص من ذلك الى أن هذه اللغة الحوشية التى يفتخر بها أهل الطبقات النازلة لأنها سلاح لهم يهاجمون ويدافعون به ، ليست لحناً وإنما هى لغة خاصة .

ويهمنا أن نقول هنا إن بعض العلماء فى إنكلترا وضعوا قاموساً لهذه اللغة الخاصة وسموه بشىء من التجاوز Slang Dictionary وكذلك فى فرنسا وإيطاليا .

وقد حاول بعض العلماء المصريين مثل حسن توفيق العدل وضع قاموس للغة العامية المصرية وردها الى أصلها الفصيح ، وكذلك قام بهذه المحاولة حفنى ناصف وأحمد زكى .

اللحن بالمعني الصحيح :

سبق الكلام على اللغة الخاصة والاصطلاحات الفنية واللغة العامية السوقية ، ويمكننا الآن أن ننتقل درجة فنجد أن كل فريق من الناس يعيشون معاً فى نظام واحد يعطون معانى خاصة للكلمات العادية المعروفة ، وهى عبارة عن كلمات اخترعت مصادفة وتحيا مدة استعمالها بواسطة مخترعيها وعند مقتضى الحال ، والكلمة ذاتها تعيش بمعناها الأصلى ولكنها بمعناها الجديد تتبع حظ الواضعين لها .

مثال ذلك عندما كانت مدام ستنهايل مسجونة فى سجن سانت لوران استبدل عمال المترو بباريس اسم المحطة باسمها فقالوا محطة ستنهايل ، فكلمة محطة ستنهايل ليست من اللحن فى شىء وليست لغة خاصة وإنما هى وسط بين الاثنين .

السلسلة اللغوية :

ولأجل الإيضاح يمكننى أن أقول إن هناك سلسلة لغوية لها عدة حلقات ، اللغة الفصيحة الواضحة الجلية المفهومة من الجميع وهى ملك كل إنسان ومدونة فى القواميس . ثم تأتى اللغة التى يتكلم بها الجماعات الأقل اختلافاً من العامة مثل الأطباء والمحامين والمعلمين ، ولكل فئة منهم تعبيرات ومصطلحات فنية ولكنها مفهومة، ثم تأتى اللغة العامية التى يتكلمها طبقات الشعب المختلفة أى العوام ، ثم اللغة الحوشية التى هى لغة خاصة وتكاد تكون لحناً أو أرغوتا ويتكلمها السوقة والطبقات النازلة ، ثم يأتى الظلام التام الحالك حيث توجد الملاحن الحقيقية بين الجماعات التى غايتها إخفاء أفكارها عمن سواها .

ويلاحظ هنا أن ثلاث حلقات من الحلقات الخمس السابقة لايقصد فيها إخفاء الفكر ، وأن الحلقتين الأخيرتين فقط يوجد فيهما قصد الإخفاء .

فاللحن أو الأرغوت إذن هو لغة خاصة تبقى قصداً مكتومة وسرية ومن خصائصها استعمال كلمات غير مفهومة أو اختراع كلمات جديدة أو قديمة تبهم المعنى وغايتها أن تكون سلاحاً يحمى المتكلمين بها ضد سواهم .

فالقصد الوحيد من اللحن إذن هو حماية الفريق أو المثنى الذى يتكلم ، كما أن الإصرار على كتمان ألفاظه ومعانيها هو

السمة المميزة له، ومن هنا فإن كل لحن كما قلنا هو لغة خاصة ولكن ليست كل لغة خاصة لحناً .

نشأة اللحن :

فأين يوجد اللحن وكيف ينشأ ؟

يوجد اللحن أو الأرغوت حيث توجد جماعة مهما صغر حجمها أو قل عددها مادام أفرادها قد اجتمعوا لمدة مابأى رابطة كانت ، حباً أو صداقة أو بغضاً أو غاية جنائية أو شهوانية مادامت هذه الجماعة تشعر بالاحتياج للتفاهم فيما بين أفرادها بدون اطلاع الغير على أسرارها .

وبهذا يصدق ما قلناه آنفاً من أن اللحن ليس وقفاً على المجرمين دون سواهم ، بل إن مجاله أوسع من ذلك بكثير ، لأن اللحن يوجد حيثما يوجد الاحتياج للاحتماء بلغة تخفى السر عن غير أعضاء الجماعة ، بين الأزواج أو الجمعيات أو الطلاب والأصدقاء أو أعضاء ناد واحد يرغبون فى تبادل أفكارهم بدون إطلاع الغير عليها ، فتخلق بعض الألفاظ لتؤدى هذا المعنى .

إنما يختلف نوع الألفاظ باختلاف الطبقات ، فالطلاب مثلاً يعبرون بألفاظ لاتينية أو يونانية أو فرنسوية قديمة أو عربية جاهلية، ولكن اللصوص مثلا يعبرون تعبيرات توافق أفكارهم ، فهم يسمّون النعل ثوراً لأنهم انتقلوا من الشىء الى مصدره وهو الجلد

وانتقلوا من الجلد الى مصدره وهو الثور ، ويسمّون الثياب نعجة منتقلين من الثوب الى الصوف ومن الصوف إلى النعجة وهكذا .

وإذا تعذر على الجماعة اختراع ألفاظ أو البحث عن ألفاظ فإنهم يجدون طريقة سهلة وهى إدخال بعض الحروف بين مقاطع الكلمة مثل «رج» فيقال « اكترجب » بدل « اكتب » و « قارجبلنى » بدل « قابلنى » وهكذا .

وبعض الجماعات يضعون فى الكلمات عدة مقاطع أو حروفا لا معنى لها ولكنها إذا أضيفت الى الكلام البسيط العادى حجبته عن ذهن السامعين ، كقول النشالين « عند ربية» لحنا عن العربية ، فاذا جردناها من النون والدال صارت « عربية » وقولهم « البنداب معندصلج سندييه» فإذا جردناها من بعض الحروف قرئت « الباب معصلج سيبه » أى الباب صعب فتحه دعك منه وهكذا ...

وهذه الطريقة شائعة فى المعامل التى يشتغل فيها النساء فى إيطاليا وعند المجرمين وعند بعض الجماعات الشركسية ، كما أن هذه الطريقة شائعة فى مصر عند البنات وبعض الطوائف .

لحن العشاق :

ويحتاج العشاق كثيراً لإخفاء أسرارهم فيتخاطبون بعبارات مفهومة لديهم دون سواهم ، ولحنهم لايختلف فى شىء عن اللحن الذى سبق وصفه بإضافة بعض المقاطع التى لا معنى لها إلى

الكلام العادى.

كذلك لهم لحن آخر بطريقة التعبير بالإيماء Argot Mimique كالتلويح بالمنديل والعصا والمروحة والأزهار ، وهنا أذكر فى هذا الصدد كتاباً لطيفاً اسمه « مخابرات الحب السرية ورسائل المملكة النباتية » جمع الفقير إليه نسيب منصور المشعلانى طبع بيروت سنة ١٨٩٧.

ولا ننسى أن الأساس للحن هو الصراع بين الفريق المتكلم به والوسط الذى يعيش فيه ، والعشاق دائما فى جهاد مع الوسط المحيط بهم ، كما قالوا بذلك على لسان شكسبير فى مسرحية روميو وجوليت.

وقد لفت العالمان أو بيتشى Obici وماركيزينى Marchesini النظر الى لغات سرية كثيرة بين الشبان والبنات الذين يعيشون فى المدارس الداخلية ، وكلها تدل على انحراف نفسانى وعلى استعمال ألفاظ سرية غايتها إخفاء مسائل يخجل الشخص من تدوينها .

وإذن فإن اللحن قد يصدر عن الأصدقاء أو العشاق عشقاً عادياً أو العشاق عشقاً مريضاً مثل بنات باريس ورجالها المعلومين، (نيتشفورو ، ص ١٢١).

لحن الجماعات :

أشرنا إلى اللغة الخاصة ببعض الحرف وقلنا إنه لايجوز الخلط بينها وبين اللحن ، كما لايجوز الخلط بين التعابير والاصطلاحات الفنية الخاصة بأية حرفة واللحن بمعناه الصحيح الدقيق ، وقد ثبت أن لغة صناع الحرير فى ليون ليست لحناً وإنما هى لغة خاصة اسمها مشتق من العمال أنفسهم . كذلك لغة عمال المطابع ليست إلا لغة خاصة بحرفتهم ، وقد علمت من توفيق حبيب[1] أن للصفافين (الذين يصفون الحروف فى المطابع) لغة خاصة بهم ووعدنى بجمع بعض ألفاظها ، كذلك للممثلين والممثلات لغة خاصة ولكنها أقرب الى اللحن منها الى اللغة الخاصة ، لأن الممثلين كانوا محتقرين جداً فى فرنسا فاضطروا لتكوين لحن يحميهم ويخفون به أفكارهم ، ولكن احتقار الجمهور لمهنة التمثيل قل فى كل مكان فى فرنسا وإن كان لايمكن انتخاب أحدهم فى الأكاديمية ، ولذلك لم يعودوا في حاجة الى لحن ولغتهم اليوم تعد لغة خاصة وليست لحناً . كذلك للموسيقيين فى فرنسا ومصر لغة خاصة بهم .

كذلك لعمال المحلات الكبرى مثل اللوفر وبون مارشيه فى فرنسا لحن يتفاهمون به فيما يتعلق بالعمل لايفهمه الزبون ولا

---

(١) صحافى مصرى كان يلقب « بالصحافى العجوز » .

المراقب ... كما يوجد لحن لرجال البوليس الفرنسويين فيقولون عن الشخص الذى يحتمل أن يكون من أرباب السوابق Decavé. والمرجح أن هذه الكلمة مكونة من ثلاثة حروف D.C.V. وهو اسم دوسيه السوابق Dossier Carton Vert الذى وضعه برتيلون Bertillon.

كذلك للشرطة الإنجليزية لحن أو لغة خاصة يستعملها حراس المحلات التجارية فى لندن لتحذير البائع من وجود أحد اللصوص بين الزبائن .

وفى محلات الخياطة بباريس وروما توجد عدة ملاحن للعاملات للتفاهم بها بدون فهم الرئيسة أو المراقبة ، وكلها مستعملة على طريقة إدخال مقاطع جديدة أو بعض الحروف على الكلمات الأصلية كما فى السيم العامى فى مصر ، وفى بعض الأحيان تستعمل كلمات مفهومة عادية تؤدى معانى متفقاً عليها ، وقد وجدت ثمانية عشرة كلمة مستعملة للدلالة على بعض أعضاء الجسم التى لا يمكن ذكرها، وتذكرنا بقصة الحمال والسبع بنات من قصص ألف ليلة وليلة ، وهذه الكلمات كلها مفهومة وعادية ولكنها أضيفت Nليها بعض الحروف أو المقاطع .

ويظن البعض أن المتكلم بهذا اللحن يجد صعوبة مع أن الحقيقة أنه يتكلم بغاية السرعة والبساطة .

ولطوائف الرحالة ألحان يستعملونها أشار إليها لومبروزو فى أحد فصول الجزء الأول من كتابه « الفرد الجانى » ، كما وجد

ملاحن لعمال المقاهي والنقاشين وزارعى العنب ، ولكن بحثه قاصر على أهل إيطاليا. والسر فى وضع الرحالين هذه اللغة هو تنقل أصحابها وعيشتهم بضعة أشهر بين أناس أجانب عنهم .

ويحدث أن أهل بقعة جغرافية يتكلمون لحناً مثل أهل وادى فالسوانا الذى يقع بجوار مدينة «تورين » ولحنهم لغة تكاد تكون غير مفهومة من سواهم ، والمرجح أن تكوين واديهم الجغرافى جعلهم يخترعون لغة خاصة بهم تخفى على الأجانب حتى فى واديهم .

وخلاصة ماتقدم أن اللحن هو لغة خاصة وجدت وبقيت بقصد أن تكون سرية، ومنشأها روح العداء بين الطبقات وروح الخوف الذى يوحى بها وغايتها حماية فريق ضد فريق آخر .

ويحتاج لهذا اللحن أرباب الصنائع المحتكون دائما بالجمهور كما يحتاج اليه المتنقلون والرحالة الجوابون للآفاق والذين يبعدون عن وطنهم، كما يحتاج إليه أرباب الحرف التى تعد الأجنبى عنها غريباً وقد يستعملون اللحن كأداة لاستغلال العملاء .

أنواع من لحن الطوائف :

كذلك هناك ملاحن للطوائف التى تعيش على هامش المجتمع مثل المتشردين وأهل الكدية والغشاشين فى لعب الورق (الكوتشينة) وهؤلاء لهم لحن فى كل بلاد العالم .

ولكل من النشالين وطائفة الحواة لحناً خاصاً بهم ، كما أن لطائفة الذين يحضرون الأرواح فى أمريكا لحن خاص بهم أيضاً ولهم كتاب أزرق فيه جميع أسرارهم ، كما أن للسحرة لحناً خاصاً أو لغة سرية يتخاطبون بها مع الأرواح الخيرة والشريرة ويسمى هذا اللحن لغة مقدسة argot secré ، كما يوجد لحن للشحاذين والمتسولين غايتهم منه الحماية فى أوقات الخوف .

وجاء بدائرة المعارف الإنجليزية أن الإنجليز عندهم ملاحن للبحارة والنجارين والمعمار وغيرهم ، وقد وضع لهذه الملاحن قاموس باسم The Dictionary of Modern Slang, Cant and Vulgar Languages , وقد طبع فى لندن سنة ١٨٥٩ .

ويقول واضع هذا القاموس إن الفرق بين Cant وبين Slang، أن Cant لغة سرية قديمة جداً للصوص والمتشردين وأهل الكدية ، أما Slang فهى لغة شعبية خاصة سريعة الزوال .

كما يوجد نوع آخر من اللحن اسمه Back Slang ، وقوامه قلب الألفاظ ، ويستعمله طائفة بائعى الأطعمة المتنقلين فيقولون Kool بدلاً من Look (أى انظر) ، و Occabot بدلاً Tobacco (أى طباق) .

ويرجع الفضل فى إنجلترا للأستاذ ج . ليلاند J.Leland الذى اكتشف لغة سرية اسمها Shelta وهى لحن للمتشردين الإنجليز ، وقد حاول كل من العالمين مايرز Mayers وسامبون

Sampson ردها الى اللغات السلتية القديمة ، كذلك ريبتون Ribton فى كتابه تاريخ التشرد والمتشردين الذى درس أحوال المتشردين الإنجليز ولغتهم .

الملاحن فى مصر :

أما فى مصر فقد تبين لى أن لكل طائفة بين طوائف الحرفيين وأرباب الصنائع لحناً خاصاً بهم ولغة سرية يتخاطبون بها ويتفاهمون بها فيما بينهم وتخفى معانيها عن غيرهم كالنجارين والمعماريين والحدادين والمنجدين والجزارين والجواهرجية وغيرهم من أصحاب الحرف والصنائع .

كذلك للطوائف الخارجة على القانون ملاحن يستخدمونها أثناء ارتكابهم للجرائم أو للتحذير من رجال الشرطة أو التنبيه بأن الضحية متنبه الى غير ذلك من الأغراض والمقاصد . ومن هذه الطوائف النشالون واللصوص والنصابون وتجار المواد المخدرة والمتسولون والجواسيس وأهل الكدية وذوو الميول الشاذة وغيرهم .

وقد لوحظ أن ملاحن أرباب الحرف المشروعة والحرف الخارجة على القانون تختلف بحسب البيئة أو الحرفة .

وقد جمعت عدداً لا بأس به من ملاحن هذه الطوائف وسويت منها قاموساً مرتباً على الحروف الأبجدية لملاحن كل طائفة على حدة حتى لاتختلط هذه الملاحن بعضها ببعض [1] .

(١) ألحقنا بهذا المبحث القاموس المشار إليه والذى وضعه المؤلف استكمالاً للفائدة وحفظاً لهذه الملاحن الشعبية من الضياع والاندثار (انظر مقالنا « اللغة السرية لبعض الطوائف والمهن الشعبية فى مصر » ، مجلة المأثورات الشعبية التى تصدر عن مركز التراث الشعبى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بالدوحة بدولة قطر ، العدد ٣٧ ، يناير سنة ١٩٩٥ ، ص ٤٣ – ٥٧ ، وكذا ثلاث مقالات للأستاذ أحمد حسين الطماوى عن « السيم أو اللغة الرمزية » ، جريدة أخبار الأدب القاهرية، الأعداد ١٤ ، ١٥ ، ١٦ فى ١٧ ، ٢٤ ، ٣١ أكتوبر سنة ١٩٩٣) .

قاموس
لملاحن السوقة

أو

السيم بين الطوائف في مصر

في ملحق بمبحث اللحن أو اللغة السرية في(*)

(*) كتب المؤلف على غلاف هذا القاموس مايلي :

« هذا قاموس لملاحن السوقة أو لغة الأرغوت المعروفة عند الفرنسويين بلسان argot أو السيم بين الطوائف وضعه وجمعه بالقاهرة سنة ١٩١٦ محمد لطفى جمعه » .



لحن النشالين والحرامية

—

أه : مع مد الألف طويلاً وتعنى عند النسالين الفراغ من عملية النشل بنجاح

أجدى ياللود : دعك من هذا الزبون

استدها من النوى : يقولها النشال لزميله فى حالة عدم تمكنه من نشل الزبون ومعناها لاتنزل فى المحطة القادمة

الأروة بهو : الفلوس كثيرة ، والأروة مطلقاً يعنى الفلوس .

إمسك الملس إين قبل مايجدى : ضيق الخناق على الزبون بسرعة

إمسك باللطى : ضيق الخناق ببطء

إمسك إين : ضيق الخناق

اهرس : يعنى تكلمْ فى لحن النشالين

إفتح الصهريج : هيا نسرق

اندقل : قفل المخزن

اندلف : ألف جنيه

الأسود : الأفيون

الادكادى : الخنصر

البنديرة : الحافلة أو الأتوبيس عند النشالين

بنداب : الباب ، يقول اللص لزميله بنداب معندصلج سنديبه يعنى الباب معصلج سيبه أى الباب صعب فتحه فاتركه .

بريور : كتينة الساعة

بلبل : الشيشة

بوى : الأب

ترمسة : الساعة

تشرين هرين : حرامية

جويس : نشال غير ماهر أو مبتدىء

جزة : العباءة فى لحن اللصوص

جديلةيمينه : ارفع ذراع الزبون اليمنى

جوستين : الجيب يقول النشال لزميله جس الجوستين أى تحسس جيبه

جيه : المخدرات

جدى : اهرب يقول النشال أو الحرامى لزميله جدى من الكبارى

يعنى اهرب من ضابط البوليس

حداية : المحفظة

الحساس : الجيب الصغير

حندش ونداتى : سور المخزن منخفض

حبل : حزام

حق : منزل

حيطلة : نصبة القهوة

حد جدى اللى فى خذته بسرعة : يعنى أسرع فى نشل الزبون

حور من خذتى اخسى الملس اين ملهسنا : يعنى ابتعد عنى لأن الزبون ينظر إلينا ٠

حتة : منطقة النشل ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن لكل نشال منطقته ولايجوز لغيره أن يتعدى عليها وينشل فيها

خشب : المخبر أو رجل الشرطة السرية عند حرامية المخازن

خند شب : الخشب

خنداتم : الخاتم

خندمرة : الخمر

خنفسة: حذاء أسود

دكهس كبارى : يعنى النشال سرق الحكومة

دكهس فى الترمسة ولهسها منه : انظر للساعة وانشلها منه

دكتور : من يقوم بتخطيط عملية النشل

دولاب : قفطان

دو : رقم اثنين

الرويان : من يغطى عملية الانسحاب ويشاغل الشرطة والناس بعد النشل

رويه : رقم أربعة

ريويه : أخ

السيه : الجيب الخلفى عند النشالين

السيلة : النقود السائلة عندهم

السلك ضريه : يعنى الزبون معدم أو فقير

سيطة : المخزن بدون حراسة فى لغة حرامية المخازن

سندور عندليتا : سور المخزن مرتفع عندهم

سندعاة : الساعة

سرجية : الخمرة

سهنى : نشال ماهر

سوس : رقم ثلاثة

سندكرة : السكر

شاروت صوان على النامى سوق جدامى : يقولها الحرامي لزميله بمعنى اذهب للسرقة فى سوق المواشى

شنكونى : نشال غير ماهر أو مبتدىء

الصندوق : جيب السترة عند النشالين

الصلبة : الجيوب السرية عندهم

صرصار : حذاء صغير

الطويل : الجيب الجانبى عند النشالين

الطويل : القطار عندهم

طبأة : الدكان عند اللصوص

طباشيرة : قلم ثمين يقول النشال لزميله فى خذه طباشيرة يعنى مع الزبون قلم ثمين وغال فى جيب سترته .

عزمان : يقول النشال لزميله كم عزمان يعنى ما معه من النقود ؟

عندجلة : الدراجة عندهم

عنديل : التاجر أو العميل الذى يبيع له حرامى المخازن البضائع المسروقة

عصاية : المفتاح المصطنع

العبودى : الأفيون

غراب : زعبوط (نوع من الملابس)

فرغة : الكيس عند اللصوص

قمقم : القزازة (الزجاجة)

قاعدة : كرسى

كوشة : الطعام الجاف عند لصوص البحر

كتف : يعنى اسكتْ أو تكتمْ عند النشالين

كبارى : ضابط البوليس

كحيتى : الزبون معدم عندهم

كركر : الجوزة

كوديانة : امرأة

كوديانة أمرى : الأخت

اللديرى : أصبع الإبهام عند النشالين

لهست : يقول النشال لزميله أنت لهست يعنى هل انتهيت من عملية النشل

اللهسة جويس : يعنى العملية سيئة وبدون عائد

المصدر : جيب الصدر عند النشالين

المدعى : الزبون أو المجنى عليه أو الضحية فى لحن النشالين

مقعة : الخمرة

ميه : فلوس

ماى : أم

مهبلش : يعنى نشال مبتدىء أو غير ماهر

مخورجة : يقول النشال لزميله العملية مخورجة أو البلد مخورجة يعنى البلد حلو أو الاتوبيس مزدحم والعملية مريحة

مافيش دكنة ولا لهسة : يعنى لايوجد زحام والجو غير مناسب للنشل

مقرقرة : المحفظة

ناضورجى : من يقوم بمراقبة الجو للتنبيه عن البوليس

نزل على مراتى : ضغط علىّ

نتشه : يعنى اترك الزبون

هجام : نشال

هَهْ يا على : يقولها نشال البحر عندما يريد تنبيه زميله

وكد نفسك : يعنى حاذر عند النشالين

وعشرة : مشرط أو آلة لقطع الجيوب

ياللود امسك الملس اللى فى خذتى : يعنى ضيق الخناق على الزبون حتى أتمكن من نشله

ياكى : رقم واحد ٠

لحن حرامية البحر والموانى

أويت : يقول نشال البحر والموانى لزميله ما أويت العم ، يعني أعطيته رشوة

أشفور : المخزن الخالى من البضاعة

أوته : يعنى أعطه رشوة

أوش أوش : يعنى لا لا

أجدى واعمل خلوص : أذهب وابعد عن هذا الزبون

أون سخى : تاجر المسروقات عند لصوص البحر والموانىء

اشلح العم اللى فى خذتك : يعنى ابعد الزبون الثالث

افتح لاين عشان اشتريت من خلته : يعنى افتح الطريق للزبون لأنى قد نشلته

بره عنه : يعنى اتركه

بكر : حرامي المخازن

بلال : البوليس قادم

باباديك : الخمرة

بتسوالكبارى جاى : يعنى الشرطة أو الحكومة قادمة

تراخى : طبيخ

تعالىنضربونسرح : هيا نتعاطى الحشيش

تيجىنبرم : معناها هيًا نهرب من الدار أو البيت

تراكلى : يقول النشال لزميله تراكلى إين وحاوت لك كواكه : يعنى اترك لى الزبون وأنا أعطيك حقك . فيرد عليه زميله : حتلوت من خذته كام كواك ؟ يعنى كم ستأخذ على الزبون ؟

جلدة : المحفظة أو الحقيبة

خيتيان : الطباق أو الدخان

دكهس على إين فى خذت الكواك وحنبهره : يعنى الزبون القادم معه نقود كثيرة فهيا تعال نسرقه

رايق : حرامى البحر الماهر

شحيير : النشال المبتدىء

صوانى : ذهب . يقول النشال لزميله صوانى بهو أى ذهب كثير

العم برنسيم سهنى : أى الزبون ساذج وسهل سرقته

عربةجلزة : عربة مقطورة

عندريية : العربة

فيش : انظر

قدس : هرب

كوديانة : زوجة الزبون

كسرة : خشب

لهس فيه : اسرق الزبون

لهست الكواك : سرقت النقود

لهست الشروط على الكابونى وأكل : يعنى رميت الطعم للزبون وأكله

لهست على إين ما فى خذتوش حاجة : يعنى حاولت نشل الزبون فلم أجد معه شيئاً

الملس إين هياكل الطعم : يعنى الزبون وقع فى المصيدة

منجرية: الأرز أو المكرونة

مليلة: الصابونة

المهر : حرامى البحر أو الموانى الماهر

مدنية : المطواة أو المدية

مخزن مرنجل : يعنى مخزن الميناء ملآن بالبضاعة

مخزن شنجيف : مخزن خال

مانيلاوى: الحبل الذى يربط به المركب

ناحو : كن حذراً

ونت : الشنطة أو الحقيبة

ياللانلامجه : هيا نلاغيه أى نشغله بالكلام

لحن النصابين

أروة : النقود فى لحن النصابين

بره عنه : بمعنى تركته · يقول النصاب لزميله بره عنه ما أودتش يعنى تركته ولا يوجد معه شىء

البكرية : البنت أو الفتاة فيقولون البكرية سابقة يعنى البنت شرسة

ترمسة : الساعة

جرس : المخبر

جدىماهاتو : الزبون أو الضحية يقظ ويصعب النصب عليه

الحوة : النقود

حبسولة : الروفلفر (المسدس)

خشب : المخبر

دراجة : الحذاء

شلح : الزبون المفلس فى لحن النصابين

الشرشوتية : النشالين أو اللصوص

صامولة : الخاتم

فخم : الزبون الجيد

فرنه : المخبر ويقولون الفرنة حتعسف يعنى البوليس سوف يقبض علينا

كواك بهو : نقود كثيرة

كروانة : العملية (أى عملية النصب) فيقولون كروانة سمقوه تقيل ويطلع أروة بهو من خذتها يعنى العملية جيدة وفيها نقود كثيرة، ويقولون أيضا كروانة سمقوة ما فى خذتوش ربول ولا كواك يعنى العملية لا تستأهل أو غير مجدية أو لا نقود من ورائها .

اللموى : ضابط البوليس ويقول النصاب لزميله اللموى البارى حراتي على النوى يعنى هذا الضابط شرس ودعك منه ويقول اللموى البارى بتاع الشرشوتية سهنى يعنى ضابط الشرطة ماهر ومتتبه لنا ويقول أيضاً اللموى البارى بتاع الشرشوتية جويس بمعنى أن ضابط الشرطة طيب ولا خوف منه . ويقول أيضاً اللموى عايز يعسفنا يعنى الضابط يريد القبض علينا

اللنودى : العقد فى لحن النصابين

منسجويس : يعنى زبون فقير أو بائس

النميج: الكلام أو الحديث يقول النصاب لزميله غيرّ النميج لتحذيره وتعنى غيرّ الكلام .

وشاح : الدبلة

لحن الحشاشين وتجار المخدرات

الأخضر : الحشيش

الأسود : الأفيون

أقطون : متعاطى الحشيش

ابعت لى صابرين : ارسل لى حشيشاً

أحمرة : تطلق على عقوبة السجن عشر سنوات

أخضرة: تطلق على عقوبة السجن خمس سنوات

اشرب متخافش : يقول تاجر الحشيش لزميله · هات شوية ميه وذلك عند حضور الشاويش · فيرد عليه : اشرب متخافش يعنى راضيت العسكرى ·

اتنين فى حجر : أى فصان من الحشيش فى تعميرة

إنما هو : الحشيش

أبو شنجل : نصاب أو أو نطجى

بضاعة هبو : مخدرات جيدة أو أفضل أنواع المخدرات

باز : العمامة

حسيس : الحشيش فى لحن من يتعاطونه

حماس : الحشيش فى لحن من يتعاطونه

حسن كيف : طباق مدهون بالعسل الأسود للاستعمال فى شرب الحشيش

حجر : الجوزة

حيف : جامع يقولون أنا بدى أحيف يعنى أقصد فعل كذا

خفف الدخان : تقال لتخفيف الدخان لتسهيل النفس

خشنى : غشيم

خدلك طيه : اصلح العمة

ده عباس : يقولها تاجر المخدرات لزميله اذا كان الزبون قلقاً من الشرطة .

ده مكمكمة : يعنى المخدرات غارقة فى مياه البحر .

ده موطوطة : يعني المخدرات غارقة فى مياه البحر أيضاً .

الريس : تاجر المخدرات أو مهرب المخدرات .

زيتون : الأفيون يقول تاجر الحشيش لزميله عايز ربع زتون بمعنى أريد ربع أقه أفيون .

زبون : مدمن المخدرات

سيغ : أى نظف غابة الجوزة بسيخ من الحديد

ستّفها : أى وطأ المرأة

شيار : حشاش ومنه يحصل التصريف فيقال شيرنا أى حششنا وبدنا نشير اى نريد نحشّش

طنش : بمعنى « صهين » أى لا تلق بالاً

ظهرأشياتك : يعنى فرفش (ابتهج)

العم اللى فى خذتك قلق : يعنى الزبون الذى معك يدعو الى القلق أو الشك

العمة : تطلق على عقوبة الإعدام

العباية : يعنى الأشغال الشاقة

غندق : استح أو اختشِ

فص : قطعة الحشيش المعدة للاستعمال

فريحى فى بيعه : يعنى تاجر حشيش ماهر

قباقيبى : شىء منحط

كتم : اهرب عند مشاهدة الشرطة

كح فى القهوة ديه : يعنى حشّش فى هذا المقهى ويقولون كححنى أحسن أنا مستعجل يعنى أعطنى الحشيش والمكح فى لحن الحشاشين مكان تعاطى الحشيش ويستعمل فيما بين الحشاشين ليستعلم السائل عن مكان تحشيش المسئول .

مصلحة: تطلق على صفقة المخدرات

مجدع : تاجر المخدرات

مونّن : مسطول أى أصابة الخدر بعد تعاطى المخدر

نقرتى : زنرنساء

هات شوية ميه : تقال عند حضور الشاويش

هات جراية : تعميرتان

وششه : فى لحن الحشاشين تعنى غشه

الواحدة : أقة حشيش

يغمة : مسألة أكل يقولون هيه يعني يغمة

يرص : يضع فصوص الحشيش وقطع النار عليها

يصف : وضع فصوص الحشيش وقطع النار عليها .

لحن ابن رابية (*)

أشاير : اسكتْ فى لحن ابن رابية

انفع : أنا فاهم رداً على « أشاير »

ابريم ماكبر: قرش واحد

أبريم مأصفر: نصف قرش

أبريمين : قرشان وثلاث أباريم أى ثلاثة قروش

الحد الجهر : امرأة جميلة

الحد المشلف : امرأة قبيحة

الرشفة : القهوة يقول ابن رابية لزميله انجدى الرشفة يعنى هات القهوة

اميه: اسكتْ

اطنيه بتلومة: اقتله بسكينة

اطنيه بطاطياة : موته بالروفرفر (المسدس)

(*) ابن رابية كانت تطلق فى مصر على طائفة من الفتوات أو الشطار والعيارين أو البلطجية .

انجدى : تعال

برغل : رجل يقول ابن رابية لزميله البرغل ده ما أمروش حوة يعنى هذا الرجل ليس معه نقود ويقول أيضاً البرغل ده أمره حوة جهرة يعني هذا الرجل معه فلوس كثيرة

برغلجهر : ولد وسيم جدع

بدهان: استعجل قليلاً فى الشغل

بروق : سمن

بود : فرج المرأة

بهلولة : جوزة

برغل صرماتى : فقيه

برغل أروط : فسا

برغلأشوح : بنفس المعنى السابق

برغلمهيجاتى : فتوة

شباشة : نقن

بلبل : فرح أو حفل عرس

برغل الكوشن : بربرى

برغل اللى منجدى فيحى : يعنى فلاح فى لحن ابن رابية

برغل جهرة : عمدة

تخويمة : جلابية

تفتافة: سيجارة أو سجاير

توضيبة جهرة : يعنى تعليقة الفرح جيدة

التازى الماكبر : المأمور أو الضابط

التازى منجدى : العسكرى قادم

تازى شلف : غفير

تازى منجدى لئينى : العسكرى يريد أن يأخذنى

جدناطراحة : هات حصيرة أو بساط

جدى الموكن : افتح الباب

جدى البرغل الصرماتى : قل للفقى يقرأ

حزب : ولد مخنث

حوة : فلوس

حصحصته شلف : أعور

حصاصات : عينان

حزاره : بطن

حصاصة البتّ : مرآة للوجه

خليه يبده : يعني بلاش الشغلة ديه

خضرمان مأحلى : بطيخ

دراجة : حذاء أو جزمة

دراجات : رجلان (مثنى رجْل)

رخوه : أكل

رغاية : صابونة

رشة : محل القهوة

زبلحة : امرأة رقاصة

زنان : زمار

سمأ : ولد

سمأجهر : ولد وسيم

سمأمشلف : ولد قبيح

سندسة : ستة قروش صا غ

سكران : العريس

سكرة : العروس

شماله : خمسة قروش

شبراق : ريال (عشرون قرشاً)

شقطرة : قرش تعريفة (خمسة مليمات)

شملات : اليدان

شونى : مركب

شطوح الموجة : وابور البحر

طرقى : فقى

طوّسه : يعنى اضربه ويقول ابن رابية لزميله طوّسة بالهباجة يعنى اضربه بالعصا أو يقول طوسه بدراجة أى اضربه بالحذاء

طقشونى : عربى

طاشم : يتمخط

عنترة : عشرة قروش

عضوان : لحم

عكار : القرة قول (قسم البوليس)

العمجهر : الناس كثيرون وجيدون

العمشلف : الناس غير جيدين

غبار : بن

غلموس جهره : وليمة أو عزومة جيدة

فرناوة : أوزة

كديانة : امرأة ويقول ابن رابية كوديانة أناوية أى امرأة نفرتاية يعنى مشاغبة

كيف منه الملاوأة : يعنى اقبلْ منه العربون

الكدية بدى أضربها : يعنى يريد مجامعة المرأة

كونيش : لص أو حرامى

كموخة : طربوش

كودية : امرأة

كيد : قضيب الرجل

كتم الموكن : اقفل الباب

كاسه : القثاء

لقاف : صديرى أو سترة

ماحمر : جنيه

ملاوأة: عربون

مطنى : ميت

مطبجاتى: طباخ

مامركش تفتافه : هل معك سيجارة ؟ فيرد عليه : مأمريش يعنى ليس عندى

موجه : ماء ٠ ويقول ابن رابية : ياللا نروح نتموج يعنى هيا بنا نستحم

مدهلاتية : ألاتية

ناعورة : أطقم الموسيقى

نرخى : ناكل يقول ابن رابية ياللانرخى يعنى هيا ناكل

نحزب : يقول ابن رابية لزميله ياللا نحزب يعنى هيا نجامع

نباش المشلف : القمل

نباشجهر : دجاج أو ديكة

ناطح القيح : ذاهب إلى الفلاحين

ناطح الربانية : ذاهب إلى مصر

هطح ابريزموجه : يعنى يتبول

وهواج : فحم أو ولعة (جذوة نار)

لحن المتسولين

أجدى : أتسوّل يقول المتسول لزميله : حاجدى هنا يعنى سوف اتسول هنا .

اهمز : يقول المتسول لزميله روح اهمز عند فلان يعنى الأكل عند فلان جيد

الأروه الكبير : المتسول الغنى

بصاص : المتسول الذى يراقب الطريق

بشلك : خمسة قروش

تماخين شدّاد : يعني عندهم أكل دسم

تعالى نجدى عنه : يعنى ابتعد عنه لأن الشخص بخيل

دهكحول : متسول مبتدىء فى المهنة

دهيتلّود : يعنى هذا المتسول يكسب من التصدق عليه

دهمجدى : متسول جديد أو مبتدىء فى المهنة

دهمصفر : يعنى لازال صغيراً

الدكتور : يعنى صانع العاهات فى المتسولين استدراراً لعطف

المحسنين

سنتكه : يعنى التسول يقول المتسول لزميله تيجى نتسنتك يعنى هيا نتسول .

سبرتو : الخمر

الشلن : الجنيه فى لحن المتسولين

فرسىخلىبالك : يقولها المتسول لزميله محذراً إياه من البوليس

قمورة : ريال أو عشرون قرشاً

منطقة ناعمة : تطلق على المنطقة اذا كانت تدر عائداً وفيراً

منطقة شلف : تطلق على المنطقة اذا كانت شاغرة إلا من بضعة أشخاص

محن سريع : يعنى كلْ بسرعة لأن الجو يدعو للقلق

مكنة : الغرزة

مصغرة: النشالة المبتدئة فى المهنة

مجدى جديد : متسول جديد أو مبتدىء

ناضورجى: المتسول الذى يراقب المكان

هبرة : يقول المتسول لزميله « فيه هبرة عند فلان » أى طعام أو مائدة للفقراء والمتسولين .

لحن الجواهرجية والصاغة

أحاد : يعنى واحد عند الصاغة

أبوربيع : أربعة

أشفور : الزبون الردىء أو ثقيل الظل وتطلق أيضاً على الذهب الفالصو وكذا الفضة .

اتبغدد عليه : يقولها الصائغ لزميله أو معاونه اذا كان ثمن البضاعة أو المصوغات مربحاً له ويريد أن يرفع السعر بمعني اصبر عليه

اشتقل : اشترى يقول الجوهرجى اشتقل منه أى اشترى منه

افقس : انصرف يقول الجوهرجى لزميله خد الدفش وافقس يعنى اطرد الزبون

أهيف : الجنيه الذهب

اتحبس : يقولها الصائغ لزميله اذا أراد أن يحذره بمعني خد حذرك

اشتناله : سمسرة فى لحن الجواهرجية يقول الجوهرجى لزميله :

الاشتتال على البنانى وإلا أصيعه يعنى المكسب مناصفة وإلا اجعل الزبون ينصرف

بار : الذهب الفالصو

البرقة : الزبونة

جفتك : اسكتْ

خموشة : يعنى خمسة

الخشتا : يقولون الختشا اللى ماشى ده كويس : يعنى هذه المرأة حسنة

دفشة : امرأة

دفش : رجل

الدفش بيمنجه : يعنى الزبون يكذب

ربصه : أى بعْ له يقولها الصائغ لزميله أو معاونه اذا كان السعر مناسباً وقولهم اربص فى شله أى تمسك به

ربص : اخبره

شناين : اثنان (قرشان)

شلوشة : ثلاثة (قروش)

شيشة : ستة (قروش)

شيشة وآحاد : سبعة (قروش)

شمونيا : ثمانية (قروش)

شمونيا وآحاد : تسعة

شفرالأجرة : خفض السعر يقولها التاجر لصانعه بمعنى خفض المصنعية

صايع : زبون ردىء

عنيز : قواد

على : يعنى المخبر فى لحن الجواهرجية

عليات جاية : يعنى الشرطة قادمة

على أشفور : يعنى لا خوف من المخبر

عنترة : عشرة

فقسه : يعنى اطرده باللطف أو بالذوق وفقس البرقة : يعنى اطرد الزبونة برفق

فقسه له : يعنى بع له

مشتقلاتى : الزبون اللص الذى يسرق المجوهرات لبيعها

مشط : ريال (عشرون قرشا)

هات الجفت : اسكتْ

يافت : الذهب الجيد أو الذهب الخالص أو الزبون الجيد أو المربح أو الغني

يافت الأجرة : بمعنى زد الأجرة يقولها التاجر لصانع المصوغات فى حالة رفع المصنعية

يفت الدبشة اللى فى شلك : يعنى حسّن البضاعة للمرأة التى عندك أو أمامك .

لحن المنجدين

أكى : يقول المنجد عايز أكى يعني أريد الذهاب الى دورة المياه

أقابل : يقول المنجد عايز اقابل يعنى أريد أن آكل

أروبة : يقولون الأروبة رابصة يعني المرأة أو السيدة قاعدة . ويقولون الأروبة هى اللى ربصته يعني السيدة هى التى أوعزت اليه.

أبرخيم : جوزه أو تعميرة دخان

ابن الشاويش : الأرز

ابن البحر : السمك الصغير

إبرة : ربة المنزل أو السيدة أو الفتاة

ابعتها : اسكتْ وتقال عند حضور شخص ثالث أثناء محادثة اثنين من الصناع ويقول المنجد لزميله ابعتها من المأخيه يعنى كن حريصاً وحذراً فى كلامك

أففه : اجعله ينصرف ويقول المنجد لزميله : ياللا نأففه يعني دعك منه

اعمله على الجيد : يقولها المنجد لزميله اذا أراد أن يصنع اللحاف

ويطبقه (يطويه)

اريى : رجل مهذار هجاص .

بنت البيضة : الجبن

برم : اسكتْ

البنديرة : قوس المنجد

بسطومة : العصا التى يضرب المنجد بها القطن

تعدييه : العملية اطلاقا فيقال تعديية عصنا أى عملية مربحة أو جيدة وتعديية ماكبرة يعنى العملية كبيرة

حرقنا : يعني جعنا

حبشتان : الحشيش

الحبال : الخبر أو الأرغفة فى لحن المنجدين

خنينى : السمك

ريص : يشتق المنجدون من هذا اللحن عدة ملاحن ميثوبون : الزبون مريص طعن عصنا يعنى الزبون كريم ، أما قولهم الزبون كاته ما بيريص الطعن فيعنى أن هذا الزبون بخيل لا يدفع جيدا ، وقولهم «الكستبان ريص » يعنى صاحب الشغل حضر ، أما قولهم الإبرة

ربصت فتعنى صاحبة الشغل حضرت وقولهم الكستبان المأكبر ربصه طعم يعنى صاحب الشغل أعطاه نقوداً

ريع مشط : عشرون جنيهاً

سليق القطن : يعنى فرفر القطن

سرور : الشاى

سرورماسود : القهوة

شنعفه : يقولها المنجد لزميله بمعنى ابعد الزبون

طراحةأوطرحاه : المرتبة

طرحة : عجيزة الرجل

عديب : المنجد الماهر

عصنا : تطلق على إكرامية المنجد ويقولون منجد عصنا يعنى منجد ماهر ويقولون ايضا الكستبان معدّب مقابلة عصنا يعنى الزبون أو صاحب الدار أعد لنا أكلاً جيداً ، أما ماكبر عصنا فتعنى المعلم الكبير فى حرفة المنجدين

العضوانة : اللحم

الغاموق : القوس يقول المنجد لزميله ياللانبدر الغاموق : يعنى هيا

حرك القطن بالقوس أى اندفه

فينو: الخيط فى لحن المنجدين .

قفه : محل المنجد

قطون : رجل

قطونة : امرأة

كوستبان : تطلق على الشخص أو الزبون أو رجل المنزل فيقولون الكستبان المأكبر أى الرجل الكبير والكستبان المأصغر أى الرجل الصغير ومن ملاحنهم قولهم الكستبان المأصغر بدّه يأفف يعنى الرجل الصغير يريد أن ينصرف والكستبان معدب مقابلة عصنا يعنى الزبون أو صاحب الدار أعد لنا أكلا جيداً أو غالياً ويقولون كوستبان فريحى يعنى زبون جيد ويقولون أيضا كستبان مابيعدبش يعنى الزبون سيىء .أما كستبان عصنا فتعنى زبون كريم وكستبان كتاقوى يعنى زبون بخيل

كتيانة : يقولون دى تعديبة كتيانة يعنى عملية سيئة أو رخيصة أو غير مربحة

كروة : تطلق على العملية فيقولون دى كروه أى أن العملية كبيرة

لحاف : فرج المرأة

مقطف : اللحاف . أما قولهم كستبان ده مقطف فيعنى يوجد بيننا زبون خبيث

مشط : خمسة جنيهات أما نص مشط فتعني عشرة جنيهات وربع مشط عشرون جنيهاً

مبيضة : بوظة (نوع من الشراب يصنع من الشعير)

مكزعزة : يقولون دى تعديبة مكزعزة يعنى العملية صغيرة أو غير مربحة

ماحمرة : جنيه

ماخضر : الحشيش

ماحمرين : خمسة جنيهات

نص مشط : عشرة جنيهات

هفف التعديبة : بمعنى العمل بسرعة

ياللانخضروا : هيا نحشش فى لحن المنجدين

يتسيا : المخدة

لحن العوالـــم

اميه : يعنى الآن أو بعد قليل فى لحن العوالم

البدهة : نهاية الفرح يقولون « ياللا نبدهوا » يعنى هيا انهوا الفرح

بهيلة: يقولون راقصة بهيلة يعنى راقصة ماهرة

برغل: العريس .

تكاعيب أو تكعيبة : الفرح الصغير

قورة : تطلق على أحسن مطرب

الحوة: النقود

كوديانة : الراقصة . يقولون كوديانة جهرة أى راقصة ماهرة أما قولهم كوديانة شلف فيعنى راقصة لا مهارة عندها

النمرة : المطرب ويقولون النمرة فيّدت يعنى الراقصة اشتهرت أما قولهم النمرة حبست فتعنى أحسن فقرة فى الفرح

نبده: يقولون عاوزين نبده بمعنى نريد الرواح .

لحن الممثلين والموسيقيين الشعبيين (الآلاتية) (*)

أناوى : الخواجة

أبج :اقبض نقوداً

اشاير : اسكتْ

أشوم : عفريت اللعب

برايز : خبز

بيانو : خفض صوتك

بياضى : مخنث

تازى : عسكرى الشرطة

تعالى : أى انهوا العمل (شطبوا)

تلوم : سيف اللعب والتمثيل

حصاصة : ساعة

حصّص : انظرْ

(*) كتب المؤلف أن سيم الآلاتية قد يكون بحذف الحرف الأول من أى كلمة واستبداله بآخرثم اتباع الكلمة بأخرى مبتدأة بالحرف المحذوف فيقال « اجرب شنبر» سيماً « لأشرب » وقد يكون بإدخال حرف الكاف على أشكال مختلفة فيقال كمالوث حكور أى تعالى نروح .

حوة : نقود

دازى : رجل

سوجه : حشيش

شنوب : خبز أو عيش

طاطوأة : بندقية اللعب والتمثيل

طعن : نقود

عمالة : راقصة

عوز : ملابس التمثيل

العيارابص : صاحب الفرح حضر

فورتى : زعق

مزة : امرأة جملية

مهرتمة : الجبن

هزلى : طرطور التمثيل

لحن البياضية (١)

اكمرش : يقول البياضى عايز أكمرش يعني أريد شرب الشيشة

أولالاه: هذا زبون صغير جداً فى لحن البياضية

ابرقه: اذهب به

بياض : الرقاص المخنث

البسباس : دورة المياه

البوغل ده تيبك : يقولها البياضى لزميله بمعنى ما رأيك فى هذا الزبون؟

جهرة : امرأة أو فتاة جميلة يقول البياضى : تعالى ياجهرة أى تعالى ياحلوة . أما معلمة جهرة فى لحن البياضية فتعنى معلمة جيدة

الحوة : النقود

حزب : يقول البياضى عايز أحزب يعني يريد الجماع

---

(١) البياضى هو صبى « المعلمة » وهى رئيسة الفرقة التى تحيى الأفراح بالغناء والرقص البلدى والموسيقى وعادة ما يكون البياضى مخنثاً مصاباً بالشذوذ الجنسى .

كوناية : المخدرات يقول البياضى لزميله نجيب كوناية يعنى نشرب أو ندخن الحشيش

كيته : لحن يقال عند الحذر

كنشنى : بمعني سرقنى

كوفه : يقول البياضى مافيش كوفة يعنى لا فائدة

مكنة : الشقة

نبدر : نسب أو نشتم يقول البياضى لزملائه يالا نبدرهم يعنى هيانسبّهم .

لحن الخيامية
(صانعى الخيام)(*)

ـــ

ابن البحر : السمك

اقسم قياسه : اطرد الزبون المتعب

بنت الزغندية : اللحم

بنت اليمن : القهوة

برايس : خبز أو عيش

البنى: يعنى « والنبى »

تقاويح : حسن أو جيد

(*) الخيامية أو حرفة صناعة الخيام من الحرف الشعبية الهامة فى مصر والتى تمتد جذورها من العصور الإسلامية حتى الآن حيث يتوارثها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء ، وتتركز فى مصر فى أحد الأحياء الشعبية القديمة المعروفة « بحى الخيامية » بالقاهرة ، كما توجد هذه الحرفة أيضاً فى بعض البلاد العربية كالمملكة العربية السعودية . وتتصل هذه الحرفة بالتراث الشعبى المتمثل فى الرسوم والزخارف الملونة المنفذة على مسطحات الخيام المختلفة ورسوم المناظر الطبيعية كالزهرة وفروع النبات والنجوم وغيرها من الوحدات الزخرفية (أنظر مقال عصمت أحمد عوض عن « الخيامية ، حرفة صناعة الخيام فى مصر » ، مجلة المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبى لمجلس التعاون لدول الخليج ، الدوحة – قطر ، العدد ٤٧ ، السنة ١٢ ، يولية ١٩٩٧ ، ص ٧ – ٢٣).

جارر : يقولون ياجارر يعني يارجل

الدردكة : الإست

دلو : يقولون يادلو يعنى يا ولد

دفاميق : نقود يقولون انسى الدفاميق أى هات الفلوس

الروبين : قضيب الرجل

زمارة : سيجارة

شرع : اتركه

شرم : فرج المرأة

عوادى : بطال

كتف : اسكتْ

اللجوأة : المرأة الجميلة

مقدح : حسن أو جيد

المقص : الشخص فيقولون المقص ده مقدح يعنى هذا الولد جدع ويقولون المقص كاسى أى الشخص المعروف قادم والمقص المأذعر أى الولد ، والمقص ده نكافى يعنى هذا الغلام مخنث .

لحن النجارين

—

أسافين : اللحم

أسفلت : أرز باللبن

الأمطةهوت : تقال عند الجوع

الاسطامةدىبوصة ٣ : يعني هذه المرأة جميلة

بدىأنشر : أى يريد الجماع

بدنانخوبر : يعني نريد أن نأكل

خابور : رغيف

دقعلىالفارة : ضرط

رش : الكسكسى

السكنية : زوجة صاحب الشغل يقولون السكنية جاية إذا حضرت ويقولون السكنية دى نشارة أى صاحبة المعلم سيئة الخلق .

ضيق السندو : اسكتْ

المحزكاد : الزبون مشى

المنشارمفلج : يقولها النجار اذا انتعظ

مقطف العدة : الفرج

لحن المعمار

—

اعجر : اشتغل بسرعة

أعجرمنهم : يعنى صاحب الشغل جاهل أو غشيم

اعقده : اهمل الشغل

او ايم : نقود

خشب : امرأة

ربص : صاحب الشغل اذا حضر

رابصة: نقود

رخى الخيط شوية : اشتغل بسرعة

شد الخيط : اشتغل أو ابن على مهل أو بالراحة

الشرد حبك : صاحب الشغل حضر

الشفر حضر : المرأة حضرت

الشعة كادت : الشمس غربت

عوض جاى : صاحب الشغل

عطش : انهو أو شطبوا الشغل

العبارة أمطة : أزمة أو مشكلة

مدماك: رغيف

نصطلح: يقولون عاوزين نصطلح يعنى نريد أن نأكل

هات الدراع : صاحب الشغل حضر

هات اللوح : اسكتْ

هات إيدك : يعنى أسرع فى الشغل (شهل الشغل)

ودش شوية : أى على مهلك فى الشغل

الولى جاء : يعنى حان وقت الظهر .

لحن الحمامية

بياضة : الصابونة

تابوت : المعلم أو صاحب الحمام

جرارة: حذاء

حلاها : خذها

حليلى من الوحيدى يوم : خذ من الرجل قرشاً

حلى من الدوشق يوم : خذ من الولد قرشاً

دفاميق : نقود

دوشق : ولد

رجيعة : بنت أو امرأة

كبوتة : المعلمة

كبوت : المعلم

المعششة : الفوطة

الوحيدى : الرجل

لحن القماحين
(تجار القمح)

—

اشكح : قمحة مليحة

بوهى : قمحة رديئة

دبانة : طينة وهى ما يختلط بالقمح من طين الأرض

عود : سمسرة يقول السمسار للتاجر فى حضور المشترى : القمحة ديه عليها عود أى لى فيها سمسرة

عليها نقص كتير : أى الغلة كثيرة الطين

فأش : قمحة رديئة

الناعمة على القمحة : أى عليها تراب

واحدة على القمحة : القمح مسّوس

لحن الطباخين

—

اشكيها : يعني قُمْ واكِتف بما أكلت

جعفر : طعام بايت

حبشية : الملوخية

حصا : أرز

ساطور : صاحب المحل

سكينة : صاحبة المحل

سلمكا : المصقعة وهو نوع من الطعام يصنع من الباذنجان واللحم
وأصلها سلجم

شاويش : أرز بالصلصلة

عضوان : لحم

عنبر : بطاطس

كمشات : نقود ويقولون كمش كبير يعنى قرش صا غ

مبرومة : البامية

لحن القصابين

—

حوش الوريد ماتشدّشْ الحقينة : تقال عند رؤية صاحب اللحم حاضراً والجزار يسرق منه

خمسماية : قرشان ونصف قرش

ستماية: ثلاثة قروش

شديت الغربال: سرقت الدهن وهو منديل الذبيحة

لف البدرى : اسكتْ وتقال عند حضور المعلم

لحن القفاصين
(صانعى الأقفاص)

اقسم قياس : اطرد الزبون ويقولون اقسم قياس لحسن المبواب

قاسم قياس يعنى احترس لئلا المعلم حضر

اتحفه : أعطه قطعة حشيش

حبال : خبز

قياس : احترس لأن المعلم حضر

نقطسنى : قرش صاغ

نقطفرك : نصف قرش

نتقره : نريد أن نأكل

نتغرى : يقول القفاص لزميله ياللا نتغرى يعنى هيا نأكل

لحن المقامرين

أمشه : كرباج

تهويش : تخويف يقال هوش عليه يعنى أخافه

جتر : اى انزل اللعب يقال جتر (٤) أو جتر (٥) أو ما أشبه

طويلك : تقال بين لاعبى القمار رمزاً لرجل البوليس

لحن القهوجية

جرنش : أقرع

سكو أو سكه : أى أن الزبون رجع الطلب أو المشروب

طنش : بمعنى صهين أى لا تلق بالاً

قباقيبى : شىء منحط

نقرتى: زير نساء

لحن الإسكافية

اخلعفردة : اسكتْ

بشتيك : الفرج

زغلة : أكل

محط : رجل

محزمشفور : صاحب المحل حرامى

مخراز : القضيب

هاتالإبرة : انظر وانتبه وتقال أيضا بمعنى احضر أمراً معيناً

هندازة: امرأة

لحن القرداتية(*)

اكرز : اقعدْ

بدّه الكموخة من إينه : ارفع العمة من فوق دماغه

بهتة البرغل بهتة الابند : وجهه مثل وجه القرد

بروكة : شعر

بدّه البرغل: اطرد الرجل

برغل : رجل

تخويمة : جلباب

تشهير : فطير

جرو : كلب

(*) القرداتية طائفة كانت فى مصر أشبه بالمتسولين تقوم بألعاب مع القردة المدربة وأثناء لعبهم يقرعون طبلة بأصابعهم ويغنون على صوت هذه الطبلة المركب فيها عدد من الحلقات النحاسية يمسكونها باليد اليسرى ويدقونها باليد اليمنى وهم على جانب كبير من المهارة فى تعليم الألاعيب للقرود وأنواع أخرى من الحيوان كالمعز والجدى ويتجمهر حولهم الناس للفرجة وبعد الفراغ من العرض يمد القرد يده دلالة على طلب النقود فيحسن الناس على صاحبه بما تجود به أنفسهم ، وكانت القردة تحمل النقود وتسلمها لصاحبها . وهذه الطائفة كادت تنقرض الآن من مصر (ر.ل.ج).

جدىالبرغل : ناد الرجل

جدناحضير : هات بتاو (نوع من الخبز)

رشفة : قهوة للشرب

رغوان : لبن

زول : حمار

شماط : لباس

طقطيء : بارود

غبار : دقيق

غربوطى : مغربى

كموخةالبرغلشلف : يعنى أقرع

كركى : جامع أو وطأ

لفاف : شال

مأمواه : معزة

منطاز : عيان أو مريض

منطازة: عيانة

محوش : خُرْج

مكن الهرطسة : حمام

محوشة تخويم : شنطة هدوم أو ملابس

نفاخة : جاموسة

هلد موسى : قل أياً ما كان

هريك : قفطان

منبره : ثلاثة

ملاحن لطوائف أخرى

—

أطمة : ردينة فى لحن بائعى الفوط والبشاكير

أم عثمان : بامية فى لحن الفقهاء

انتررغيفين على الفرش : اسكت فى لحن الخبازين أو بائعى الخبز

أرد : خبز عند الدبّاغين

أربعين : قرش تعريفة فى لحن مساحى الأحذية

أربعة وعشرين : ثلاث مليمات فى لحن مساحى الأحذية

تيتل : قواد فى لحن ذوى الميول المنحرفة

الحمام يلقط : يعني الناس تسمع عند ذوى الميول المنحرفة

ظبى : غلام فى لحن ذوى الميول المنحرفة

قرشانة : قوادة عجوز فى لحن ذوى الميول المنحرفة

الكرنيب : معلم الشغل فى لحن الحلوانية

اللقط : الرجل فى لحن الحدادين

مشط : الرجل فى لحن الحدادين

النحاسة : المرأة فى لحن الحلوانية

نص : زبون يدفع قرش صاغ فى لحن الحلاقين

واحد : زبون يدفع قرشين فى لحن الحلاقين

الفهـرس

الصفحة

هذا الكتاب رابح لطفى جمعه ١

تقديم

للأستاذ أحمد حسين الطماوى ٩

الاجتماع وعلم الشعوب وآدابها وحكمتها

فى الفولكلور العالمى ٢٧

المقامة والفولكلور ٢٩

أهمية ومكانة الفولكلور فى الوقت الحاضر ٣٤

من علماء الفولكلور ٣٨

حاجة الشعوب الى جمع مأثوراتها الشعبية ٣٩

ملاحن المجرمين وأرباب الحرف والصنائع ٤٠

ملاحن أصحاب الحرف والصناعات فى مصر ٤١

الشرقيون بين الماضى والحاضر والمستقبل ٤٢

دراسة نفسيات المجرمين عن طريق الفولكلور ٤٣

السحر والتمائم والحجب
والرقى والعزائم فى معتقدات الشعوب
الشرقية والأمم السامية وغيرها ٤٢

الحجب والتمائم ٤٦
الدين والسحر ٤٩
التنجيم ٥٤
علم الكف ٥٥
المندل وقراءة البخت ٥٦
صنع التماثيل ووخزها بالإبر ٥٨

الخرافة ٦١
معنى الخرافة فى اللغات الغربية ٦١
معنى الخرافة عند العرب ٦٤
خرافات تاريخية ٦٦
أيام السعد وأيام النحس ٦٧

الصفحة

عروس النيل	٦٩
إحراق مكتبة الإسكندرية	٧١
تحديد عمر الإنسان على الأرض	٧١
أعياد الأمم	
أعياد مصر قديماً وحديثاً	٧٣
الاحتفال بوفاء النيل	٧٣
الأعياد والموالد	٧٤
شم النسيم	٧٤
الاحتفال بمولد أبى الحجاج فى الأقصر	٧٥
النكتة المصرية فى اللغة المحكية واللغة الفصحى والنكتة عن الإنجليز والفرنسيين	٧٩
التنيكت والإضحاك والمزاح والهذر عند الإنجليز	٧٩
النكتة عند الفرنسيين	٨١
النكتة عند العرب	٨٣

الصفحة

النكتة المصرية وأنواعها ٨٤
المجلات والصحف الفكاهية ٨٦
من أصحاب النكتة فى مصر ٨٧
اختراع الكلمات المتقاطعة
سبق به العرب أهل أوربا ٩٠

أدب الشعب والثقافة العامية
(فولكلور) ٩٥
ثروة دفينة وكنوز منسية وأهمية تدوين الأدب الشعبى .. ٩٧
رواد التأليف فى الأدب الشعبى ٩٩
الشيخ حسن الآلاتى وكتابه ١٠٠
الزجل ١٠٢
ابن عروس ١٠٣
الملاحن أو اللغة السرية ١٠٥
الملاحن أو اللغات السرية ١٠٩
الاختلاف فى إحساس الجماعات يتبعه اختلاف فى
كلامهم ١٠٩

الصفحة

قاعدة نشأة اللحن وقاعدة نموه ١١١

تعريف اللحن ١١٢

التفرقة بين اللحن واللغة الخاصة ١١٢

الأشخاص المتقاربون فى الأخلاق والعادات والميول ١١٣

اللغة الخاصة والاصطلاحات الفنية ١١٤

التعابير والاصطلاحات الفنية ١١٥

اللغة السوقية والألفاظ الحوشية ١١٨

طريقة إنشاء اللغات السوقية ١١٩

اللحن بالمعنى الصحيح ١٢٠

السلسلة اللغوية ١٢١

نشأ اللحن ١٢٢

لحن العشاق ١٢٣

لحن الجماعات ١٢٥

أنواع من لحن الطوائف ١٢٧

الملاحن في مصر ١٢٩

الصفحة

قاموس

للاحن السوقة

والسيم بين الطوائف فى مصر ١٣٢

لحن النشالين والحرامية ١٣٣

لحن حرامية البحر والموانى ١٤١

لحن النصابين ١٤٢

لحن الحشاشين وتجار المخدرات ١٤٨

لحن ابن رابية ١٥٢

لحن المتسولين ١٥٩

لحن الجواهرجية والصاغة ١٦١

لحن المنجدين ١٦٥

لحن العوالم ١٧٠

لحن الممثلين والموسيقيين الشعبيين (الآلاتية) ١٧١

لحن البياضية ١٧٣

لحن الخيامية ١٧٥

لحن النجارين ١٧٧

الصفحة

لحن المعمار ١٧٨

لحن الحمامية ١٨٠

لحن القماحين (تجار القمح) ١٨١

لحن الطباخين ١٨٢

لحن القصابين ١٨٣

لحن القفاصين (صانعى الأقفاص) ١٨٤

لحن المقامرين ١٨٥

لحن القهوجية ١٨٦

لحن الإسكافية ١٨٧

لحن القرداتية ١٨٨

ملاحن لطوائف أخرى ١٩١

الفهرس ١٩٢

مؤلفات محمد لطفى جمعه

أولاً : المؤلفات المطبوعة :

١ - فى بيوت الناس (قصص) - نفد.		١٩٠٤
٢ - فى وادى الهموم (رواية) - نفد.	مطبعة النيل	١٩٠٥
٣ - تحريرمصر(سياسة - مترجم) - نفد	مطبعة النيل	١٩٠٦
٤- محاضرات فى تاريخ المبادىء الاقتصادية والنظامات الأوروبية (اقتصاد ونظم الحكم) - نفد .	مطبعة النيل	١٩١١
٥ - الحكمة المشرقية (يضم ثلاثة كتب هى : حكم فتاح حوتب وروضة الورد للشيرازى والتعليم الراقى للمرأة اليابانية) - ترجمة ودراسة - نفد.		١٩١٢
٦ - حكم نابليون (مترجم) - نفد	مطبعة البيان	١٩١٢
٧ - ليالى الروح الحائر (أدب) - نفد	مكتبة التأليف	١٩١٢
٨ - الأمير « لميكافللى » (ترجمة ودراسة) - نفد .	مكتبة التأليف	١٩١٢
٩ - مقدمة قانون العقوبات ومبادىء العلوم الجنائية (قانون - مذكرات فى القانون الجنائى لطلاب السنة الثانية من قسم الحقوق بالجامعة المصري) - نفد .		١٩١٧

١٠ – تاريخ علم الاجتماع (اجتماع) – نفد . ١٩١٩

١١ – مائدة أفلاطون (دراسة فلسفية – مترجم) – نفد . ١٩٢٠

١٢ – الشهاب الراصد (نقد كتاب « فى الشعر الجاهلى » لطه حسين) – نفد . مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٢٦

١٣ – تاريخ فلاسفة الإسلام (فلسفة إسلامية) – نفد . مطبعة المعارف ١٩٢٧

١٤ – الشيخ محمد عبد السلام (سيرة متصوف مصرى) – نفد مطبعة حليم ١٩٢٧

١٥ – حياة الشرق ودوله وشعوبه وماضيه وحاضره (سياسة وتاريخ) – نفد . دار إحياء الكتب العربية ١٩٣٢

١٦– سجل أشهر القضايا العالمية (قانون – عدد واحد) – نفد . مطبعة حجازى ١٩٣٤

١٧ – بين الأسد الإفريقى والنمر الإيطالى (سياسة – بحث تاريخى اجتماعى فى المشكلة الحبشية – الإيطالية) – نفد . مطبعة المعارف ١٩٣٥

سلسلة مسامرات الشعب (روايات مترجمة):

١٨ - الساحر الخالد- عدد ٤٠ مسامرات الشعب - نفد

١٩ - الانتقام الهائل - عدد ٤١ مسامرات الشعب - نفد

٢٠ - الكنز الدفين لكونان دويل - عدد ٤٧ مسامرات الشعب - نفد

٢١ - الجسد والروح - عدد ٤٨ مسامرات الشعب - نفد .

٢٢ - ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله (سيرة الرسول ﷺ- الجزء الأول) - نفد . — مطبعة الحلبى — ١٩٤٠

٢٣ - ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله (الجزء الأول مضاف إليه باقى الأجزاء كاملة) - نفد — مطبعة النهضة المصرية — ١٩٥٩

٢٤ - نظرات عصرية فى القرآن الكريم (تفسير) — مكتبة عالم الكتب بالقاهرة — ١٩٩١

٢٥ - مخطوطات مسرحيات محمد لطفى جمعه - الجزء الأول - المسرحيات

المؤلفة (قلب المرأة - خضرٌ أرضك - فى سبيل الهوى - يقظة الضمير - الأم المتعبة) - إصدار ودراسة نقدية تحليلية للدكتور سيد على إسماعيل الأستاذ بكلية الدراسات العربية بجامعة المنيا .	مطبعة هلال بالمنيا الناشر مكتبة زهراء الشرق القاهرة	١٩٩٧
٢٦ - قطرة من مداد لأعلام المتعاصرين والأنداد - تراجم مصرية وأجنبية .	عالم الكتب بالقاهرة	١٩٩٨
٢٧ - نحو أدب روائى عالمى جديد (عولس لجيمس جويس - أدب ونقد)	عالم الكتب	١٩٩٨
٢٨ - مع الكتب فى سبيل المعرفة - تاريخ تكوين عقل (أدب ونقد)	عالم الكتب	١٩٩٩
٢٩ - الفلاكة والبوهيمية فى الأدب القديم والحديث (أدب)	عالم الكتب	١٩٩٩
٣٠- مباحث فى الفلولكلور (أدب ومأثورات شعبية)	عالم الكتب	١٩٩٩

ثانيا : تحت الطبع :

- الأيام المبرورة فى البقاع المقدسة (رحلة الحج والزيارة النبوية فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود) - أدب رحلات .

- تذكار الصبا أو ذكرى ١٩ مارس (جزآن - مذكرات وسيرة فى الرحلة والسياسة والأدب والفنون).
- شاهد على العصر (مذكرات محمد لطفى جمعه ١٨٨٦ - ١٩٥٣) .
- عايدة (رواية).
- مختارة (رواية).
- الفتى العادل (رواية)

رقم الإيداع ٩٨ / ١٤٧٤٤
I.S.B.N. 977- 232 – 162 - 9



مطبعة السلام الحديثة

١٠ اش عبد السلام منسى
المتفرع من الشهيد أحمد حمدى
مدكور – فيصل
ت : ٥٨٣١٩٣٠